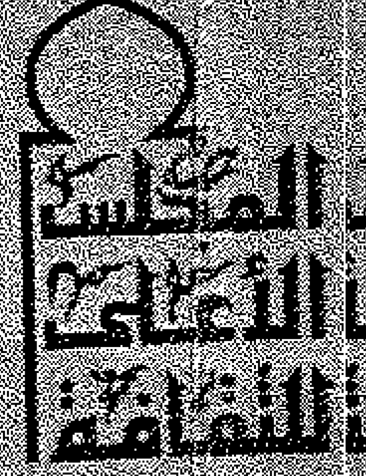
لجنة التربية
بالمجلس الأعلى للثقافة

أضواء على ندوة الثقافة والتربية

إعداد:
مجموعة من الباحثين
إشراف:
أ. د. عبد السلام عبد الغفار



المجلس الأعلى للثقافة

لجنة التربية

أضواء على ندوة
الثقافة والتربية

المشاركون

أ . د / عبد السلام عبد الغفار

أ . د / سيد صبحى

أ . د / إبراهيم عيد

أ . د / طلعت منصور

أ . د / صلاح قنصوة

أ . د / محمد عبد الظاهر الطيب

أ . د / ماهر شفيق فريد

أ . د / محمد أمين المفتى

أ . د / حامد زهران

أ . د / أحمد اللقانى

أ . د / اسحق عبيد

أ . د / مصطفى رجب

أ . د / عبد الفتاح حجاج

المجلس الأعلى للثقافة

اسم الكتاب : أضواء على ندوة الثقافة والتربية .

اسم المؤلف : مجموعة باحثين .

الطبعة : الأولى - القاهرة ٢٠٠٢ م .

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax :** 7358084 **E. Mail :** asfour @ onebox. com

المحتويات

أضواء على ندوة
الثقافة والتربية

" الأوراق التى قدمت فى الندوة "

الثقافة والتربية فى عالم متغير

د . عبد السلام عبد الغفار

فى هذه المرحلة التاريخية العصيبة التى تمر بها أمتنا العربية، يصبح لزامًا على الأمة أن تقف فى مواجهة ذاتها ، باحثة عن مكوناتها الأصيلة والراسخة، عن هويتها الثقافية، عن جوهر وجودها الجغرافى ، والاجتماعى ، والتاريخى ، والثقافى، عن ثقافتها فى عالم متغير، تهيمن عليه مفاهيم الكوكبية والكونية والاعتماد المتبادل، والإبداع لمن أراد أن يكون له موقع قدم على خارطة هذا العالم .

فبعد انهيار حائط برلين عام ١٩٨٩م ، بدا واضحًا أن العالم فى حاجة إلى رؤية مستقبلية ؛ تستهدف إيجاد حلول جديدة لمشكلات عالمية غير تقليدية ، ولا سيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، وتحول دول شرق ووسط أوروبا إلى الاقتصاد الحر، وانتقال العالم من الثنائية القطبية إلى القطب الواحد ، إلى مرحلة قد تتعدد فيها الأقطاب .

وظهرت مفاهيم القرية الكونية والواحدة ، وإننا نعيش فى عالم يتجاوز فيه الإنسان الحدود الجغرافية ، والسياسية ، والثقافية، وإن الاعتماد المتبادل سيجعل من دول العالم سوقًا اقتصادية هائلة ومشتركة ، وإن غزو الفضاء، وثورة المعلومات، وعولمة المكان ، وفاعلية الوسائط المعرفية، من شأنها أن تعجل باختراق الهويات الثقافية الإقليمية ، وتنويبها فى الهوية القطبية الواحدة .

وظهرت كتابات هنتخبتون وفوكوياما، التى تحاول ترسيخ توجهات ثقافية واحدة، وإلى اختراق الهويات الثقافية الإقليمية ، وإلى تجاوزها، وإلى ضرورة تنويب هذه

الهويات، إذا ما أرادت أن يكتب لها البقاء في هوية ثقافية واحدة، ونظام عالمى واحد، وتوجهات أيديولوجية واحدة ، تنشد تحقيق أهداف سياسية غربية محددة تحت مسميات الليبرالية الغربية ، والإنسان المتقدم .

ولسنا بغافلين عما يكمن وراء القائمين على هذه الحركة الفكرية ، من دوافع سياسية، تتكشف وقائعها الميدانية على خارطة العالم يوماً بعد يوم .

ونحن نؤمن بأن الحوار وليس الصراع بين الثقافات ؛ هو الذى يحقق التكامل بين الأمم، وأن وحدة العالم الحضارية ، لا تعنى أن ينغلق العالم تحت هيمنة ثقافية معينة، فى عصر تجاوز فيه الإنسان وهم الأيديولوجية وجمودها وانغلاقها .

ونحن أمة تتمتع بثقافة متميزة، ضاربة بجذورها فى عمق التاريخ ، معبرة عن تراث شعب أصيل فى أرضه، له ثوابته الجغرافية ، ومتغيراته التاريخية، غير إنها نسبية غير مطلقة، متجاوزة لذاتها، تتخذ من التطلع صوب المستقبل هدفاً لها، ومن الحفاظ على القيم الأصيلة والروحية قاعدة لها، مؤمنة بأن الدين هو المقوم الراسخ فى شخصيتها، وموقنة بأن العقل ينبغى أن يكون له المقام الرفيع فى عالم العلم والتكنولوجيا.

ولعل من أهم وسائط الثقافة لتحقيق غاياتها القصوى : التربية، فهى المعبر التى تعبر فوقه ثقافة المجتمع ، وتطلعاته المستقبلية، ولهذا كانت التربية ومازالت – ذات طبيعة مزدوجة تكمن فى اكتساب المعرفة ، والحفاظ على القيم المتوارثة، وتمكين الأجيال الناشئة من التغلب على معوقات التطور والتنمية ، بتقديم الكوادر القادرة على مواجهة متطلبات التنمية بكافة مجالاتها، وعلى دفع عجلة التطور والتقدم فى المرحلة القادمة .

ولا يمكن للتربية أن تكون معبراً لثقافة المجتمع ، إلا من خلال ترسيخ قيم التسامح فى الفكر ، والاعتقاد، وتأصيل قيم الانتماء للأمة بين الشباب، وتعميق الروح الديموقراطية بين الشباب، وتنمية الحس الجمالى بين شباب الأمة، فالأمم تقاس حيويتها ورقيها الحضارى ، بمدى حرصها على التذوق الجمالى ، والأدبى ، والفنى،

إضافة إلى الحرص على الأساليب العلمية الحديثة ، التى تشجع على التعامل مع مستحدثات العصر ومستجداته ، المعرفية ، والتكنولوجيا ، من خلال هذا التدفق المعرفى المتواصل، الذى يستلزم التعامل مع العصر بلغاته العالمية، مع الحرص على اللغة العربية باعتبارها بوتقة الانصهار الوجدانى القومى، ودليل هوية قومية ، وحضارة متميزة، تقوم أساسًا على عمق التواصل بين الدين والعلم، فالدين يوجب العلم ولا يعارضه، وقد حمى التدين الأصيل بغير تطرف مصر طوال تاريخها من الغزوات الثقافية ، التى كانت شرسة فى بعض الأحيان، فالعلاقة بين التربية والثقافة هى علاقة جدلية لا تعرف التوقف .

أيها السادة :

أنا على يقين بأن فعاليات هذه الندوة ، ستطرح إشكاليات ثقافية ، وتربوية ، وإبداعية من خلال محاورها ، وأنها ستسفر عن توجهات قد يكون لها طابع الجدة ، ومن ثم تكون محكات عمل للمستقبل .

وفقكم الله ، وسدد على طريق الخير خطاكم ،،،

كلمة الأستاذ الدكتور / سيد صبحى

مقرر ندوة الثقافة والتربية

أيها السادة - أيتها السيدات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

نتشرف بحضوركم فى ندوة الثقافة والتربية ...

تلك التى حظيت بمتابعة السيد وزير الثقافة ، وإشراف الأستاذ الدكتور/ عبدالسلام عبدالغفار مقرر لجنة التعليم بالمجلس الأعلى للثقافة.

"والكلام عن الثقافة والتربية ، يعطى دلالة قويمة للتفاعل المثمر ، والتعاون المستمر ، والعطاء الفيّاض ...."

تمامًا كما نرى العلاقة بين الشمس الساطعة وضوء النهار، تعطى الشمس ، ويأخذ النهار فرحًا بهذا العطاء وذلك الضياء ....

وأيضًا كعلاقة النهر بالأرض العطشى ؛ يرويها فتثمر ، وتعطى قطوفها كل حين بإذن ربها...... والأمر أيضًا مثله ،كمثل العلاقة بين الزهرة والنحلة ... يعطى الزهرة الرحيق دون دجل أو ندم .... فهى تحب امتصاص النحل ، وتزهو وهى تقدم دائمًا "العسل".

هكذا تكون العلاقة بين الثقافة والتربية... علاقة مودة وعطاء ، وتفاعل وتعاون ... فالتربية توظف المعطيات الثقافية . والثقافة بدورها تستمر فى التجويد والعطاء ؛ لأنها روح الحياة ....

تلك هى فعّاليات ندوة الثقافة والتربية ، التى نتطلع إليها أن تكون مثمرة ..... ورمزًا للعطاء.

المحـور الأول

التربية والتغيرات الثقافية فى عالمنا الراهن

ثقافة أهل مصر ....

نموذج من الحوار بين الحضارات

أ . د . اسحق عبيد

كلمة "ثقافة" (Culture) فى اشتقاقها اللغوى ؛ تُعنى "الفلاحة" ، وأيضًا العبادة. والواقع أن المعنيين يرتبطان أشد الارتباط بتاريخ مصر الباكر؛ ذلك أن أجدادنا المصريين عندما كانوا يفلحون الأرض ويرعونها، كانوا فى نفس الوقت ، يتضرعون إلى التقوى الإلهية فى الأعالى ؛ لكى تبارك الزرع والضرع والحصاد. والمعروف أن المصرى القديم هو أول من اهتدى إلى الزراعة Agriculture (أى تهذيب ورعاية الحقل) على وجه البسيطة. ولقد اهتدى الآباء القدامى إلى أن القيم الدينية : هى التى تهذب ضمير الإنسان وروحه ، مثلما تهذب يداه تربة الأرض المصرية .

وهكذا ، فإن مفردات الثقافة تتضمن قيمًا عليا : من إيمان، إلى عمل، إلى طهارة ، إلى جمال، إلى التزام، ومن جُماع هذا كله ، يتبلور ائتلاف فريد من كل ما هو روحى واجتماعى. والثقافة بعد هذا هى نواة : الشخصية سواء بالنسبة للفرد أو الأمة، فهى التى تحكم السلوكيات فى الحقل، والمدرسة، والسوق، ودور العبادة .

هذا هو الجانب المعنوى للثقافة، أما الجانب المادى : فهو ما يتصل بالمنجزات المادية فى مختلف الأصعدة، ومن هذه المنجزات المادية ، ولدت كلمة "الحضارة " Civilization .

ولقد تشكلت الثقافة المصرية من عدة ثوابت : جغرافية وتاريخية متعددة الأبعاد ، من بينها اختراع الكتابة وأبجديتها، والإبداع فى الطب والتحنيط، والإيمان بالبعث والحساب يوم الدنيونة، ثم عبقرية هندسية فلكية رياضية معمارية فذة، والمصرى فى

هذا وذلك بنّاء لا يعرف الهدم، وتشيد آثارنا فى كل نجع فى الدلتا ، والصعيد عن يدٍ تبنى ، وأخرى ترمم. ولا عجب إذن أن ارتبط المصرى بأرضه ، وداره ، وحقله، ودار العبادة ، وداره في الآخرة. ومن هذا الاستقرار، الذى ميز المصريين منذ الألف الرابعة ق.م عن الشعوب الهائمة على وجهها من حولهم، قامت الوحدة بين الشمال والجنوب ، والتقوا بالوادى، وبالنيل الكريم، حتى إنه يصح أن نصف المصرى بأنه "ابن النيل" الذي يبلغ طوله ٦٦٧١ كم ، والذى ينعم على الأرض المباركة بفيض تبلغ حمولته ٩٢ بليون متراً مكعباً كل عام .

والذى ينظر إلى خريطة النهر الخالد (حابى) ، يجدها أشبه ما تكون بزهرة اللوتس المصرية، فالمجرى يشبه ساق الزهرة ، والدلتا هى تاج الزهرة ، ويرى أهل الفنون فى هذه اللوحة الربانية راقصة تعبيرية؛ قدماها فى قلب الغابة الإفريقية، وجدائل شعرها تسبح فى حوض البحر المتوسط. أما أهل الصوفية ، فإنهم يرون فى النيل زاهداً ، يرفع يديه إلى السماء ، شاكراً المولى عز وجل على الفيض والنماء! .

وما من شك فى أن مقولة هيرودوت شيخ المؤرخين (الذى زار مصر فى القرن الرابع ق.م) بأن : « مصر هبة النيل » هى مقولة صحيحة ، ولكن ينبغى أن يضاف إليها التأكيد على فضل العقل ، والسواعد المصرية ، فى ترويض هذا الفيض الكريم، بشق القنوات ، وإقامة السدود، ورصد الحسابات، حتى يأنس النيل إلى ما نعرفه عنه اليوم. وبذلك تكون مصر هبة النيل والعقل المصرى جميعاً .

وعلى ضفاف النيل عرف المصريون الزراعة ، التى هى النواة الحقيقية للحضارة، وبهذه النقلة نشأت علوم عدة : كالحساب ، والهندسة ، والفلك ، والميكانيكا، واخترعت المواصلات وهكذا انطلقت كوامن الإبداع ، تختزل المسافات الزمنية، حتى إنه يصح القول بأن المصرى قد اشترى الزمان بالمكان .

كذلك كان النيل حافزاً لأهل مصر على النظافة والطهارة . وطبقًا لشهادة هيرودوت ، كان المصريون القدماء يغتسلون مرتين كل يوم من ماء النيل، ولا يقرب المصرى معبداً من المعابد ، إلا وقد تطهر بماء النيل، ومن يغرق فى النيل كان يعتبر شهيداً ، فيُحنط جسده ويُكفّن بالزهور.

لا عجب إذن أن هذه الجاذبية الثقافية لمصر ، هي التي حركت الأمم من حولها ؛ لتفد إليها من شمال وجنوب ، وشرق وغرب. ولكن مصر - هذه البوتقة العجيبة - احتوت هؤلاء جميعًا وامتصتهم، ومصَّرتهم حضاريًا . وفي هذا يقول مارتن برنال صاحب كتاب " أثينا السوداء" : أن الحضارة المصرية هي الأصل الذي نهلت منه فارتوت الحضارة الإغريقية، وأن ٢٠ - ٢٥٪ من اللغة الإغريقية مستمدةُ من اللغة الهيروغليفية (الواقع أن الهيروغليفية خط للغة المصرية القديمة !) ، وأن أصول وأسماء جميع الآلهة الإغريقية مصرية تمامًا، وأن الأساطير المصرية ، هي منبع الأساطير الإغريقية، وأن الإسكندر الأكبر نفسه، وهو الابن المدلل للإغريق، قد قصد إلى مصر ؛ ليحج في معبد آمون في واحة سيوة، حيث اتخذه آمون له ابنًا ! .

وترتكز الثقافة المصرية على عُمُدٍ عديدة؛ تجمع بين ما هو معنوي وما هو مادي :

أولاً : مقدرة الإنسان المصري على الاستجابة للتحدي، في شكل جماعي خلاق، تمثل في تفاعل الجماعة مع قوى الطبيعة، والتعامل معها، كما فعلوا مثلاً مع النيل حتى استكان وائتلف، بعد أن كان طائشًا متهورًا جبارًا. وكما فعلوا مع الغزاة الأجانب ، قبل الهكسوس ، والبابليين ، والفرس ، واليونان ، والرومان والفرنسيين ، والإنجليز.

ثانيًا : ظل المصريون طوال تاريخهم ، في تجانس أصيل ومستمر، ومتماثل في ملامحهم الجسمية ، والنفسية، وفي مزاجهم وتقاليدهم ، وطابعهم القومي .

فهناك حتى يومنا هذا مع نهاية الألفية الثانية ، من الملامح في عاداتنا اليومية وأفكارنا ، وأمثالنا الشعبية ، ما يعود إلى الألوف من السنين، من قبيل الاحتفال بشم النسيم، ووفاء النيل، وجنازة الأربعين وغيرها كثير، بمعنى أن الماضي يعيش في رحم الحاضر ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معان. وهذه الاستمرارية الثقافية لألوف السنين ، ميزة تنفرد بها مصر .

ثالثًا : والمصري مأخوذ بالتدين ، ومخافة الله ، ولكن دون تعصب . ومنذ البدء تمثل المصريون في مشرق الشمس ومغيبها، وفي فيض النيل وانحساره، ضربًا من ضروب الصراع بين الحياة والموت، والخير والشر؛ ولكن الغلبة في يقينهم،

تبقى للحياة وللخير فى نهاية الأمر، على أن هذا لا يكون إلا بعد صراع طويل وعنيف، وبعد كد وجهد لا يعرفان الملل أو الكلل ، وبذلك انغرس فى نفوس الأجداد ، معنى الدأب والكد دون تراخ أو كسل . فكانوا إذا فاض النيل ، يشمرون عن سواعدهم، يفلحون الأرض ، ويرونها ، ويبذرونها بالحب، ويرعون زرعهم، وعيونهم أبدا تتطلع إلى الصحراء ، من شرق وغرب، تصور لهم سوء المصير إن هم قعدوا عن السعى والعمل .

رابعًا : من أجمل الخصائص الثقافية التى تميز المصرى : حنوه على الطبيعة ، وحفاظه على التوازن بين الخلائق؛ من بشر ، وحيوان ، ونبات ، وطير، فقد بلغ عدد المخلوقات التى قدسها المصرى نحو ٤٣٨!! والعجيب أن المصرى القديم كان يتقرب أيضاً للحيوانات الشرسة ، وللأفاعى ، وللعقرب ، ولابن آوى ، ولفرس النهر ، أملاً فى درء شرورها جميعًا .

والمصرى هو أول من آمن بالعالم الآخر والبعث والحساب، وارتبطت هذه البيانات جميعًا بإبداعاته الفنية ، من نحت وتصوير ونقش، وأهرامات ، ومعابد ، ومسلات ، ومقابر. وهو أيضًا الذى ميز بين الروح الصالحة والأخرى الطالحة ؛ أما الصالحة : فما لها فردوس النعيم مع الأبرار، وأما الطالحة : فإنها تسقط إلى دار الظلام المخيف ؛ لتكتوى مع أعداء النور بما جنت أيدى صاحبها ، فى عالم الدنيا ، بضيوف من العذاب والألم .

وبهذه الفطرة المطبوعة على التدين، استجابت مصر لبشارة المسيحية ، ورسالة المحبة والسلام فى القرن الأول للميلاد ، ولم تهزها الاضطهادات التى أوقعها بها الأباطرة الرومان ، من أمثال دقلديانوس، ونيرون وغيرهما كثير. وقد أعطت مصر العالم قانون الإيمان المسيحى ، ونظم الرهبانية ، من توحد وشركة .

وبهذه الفطرة العميقة للتدين ، فتحت مصر ذراعيها للقائد عمرو بن العاص ؛ ليخلصها من طغيان الروم سنة ٦٤١ م. ووجدت مصر فى الإسلام دينًا يدعوا إلى الحق، ويعترف برسالات السماء جميعًا، ويتخذ من الإنسان موضوعًا له . فالخطاب

القرآنى موجه إلى الناس جميعاً ، فأكرم ما زود الله به الإنسان هو العقل، وقد تحرر من قيود الوثنية ملزمًا بحدود الشرع، ومن ثم فهو مسئول وحده عن أفعاله ، وعما اقترفت يداه. إنسان يؤمن بأن الناس جميعًا أمة واحدة ، وأن الله قد جعلهم " شعوبًا وقبائل، وإن أكرمهم عند الله أتقاهم ".

وفى الإسلام انفردت مصر دون سائر بلاد الدنيا ، بشرف ذكرها فى القرآن الكريم خمس مرات، وفى أربعة مواضع .... وهذا شرف سماوى لم تبلغه بقعة أخرى فى بلاد الأرض جميعًا .

خامسًا : مصر هى أرض "فجر الضمير" ، وما نعنيه بالضمير فى هذا السياق الثقافى : هو فكرة المصرى من قديم الأزل عن الحق والباطل ، ومن يقلب فى سجلات التاريخ المصرى على مختلف العصور ، يتكشف له أن المثل الأخلاقية النبيلة التى تمسك بها الأجداد ؛ هى تلك التى تتسق مع معلمة الجماعة ككل ، وليست بمقصورة على إنسان فرد ؛ فالصالح العام هو العنصر الانتقائى للعقل المصرى، الذى يضم لكل ما هو خير ونافع دفعة للبقاء، وأن هذا الشعور دون غيره هو ، الذى يغرس فى وجدان الفرد والجماعة نبض الضمير. والجدير بالذكر هنا ، أن الحضارة المصرية القديمة ، تنفرد بصفة إنسانية نبيلة؛ فلم يعرف المصريون حتى فى عصور ما قبل تاريخ الأسرات ، الأضحية للآلهة ببنى البشر، كما كانت الحال عند شعوب أخرى كثيرة، وإنما استعاضوا عن ذلك الطقس بتقديم القرابين . أما حكاية عروس النيل ، فهى من خيال الكاتب اليونانى بلوتاخ (قرن أول م)، حيث يقول أن : النيل كان قد ضن بفيضانه ذات موسم من المواسم، فأقفرت البلاد وضج العباد، فما كان من الفرعون ؛ إلا أنه ضحى بابنته الصبية عروس للنيل، فألقى بها فى جوفه ؛ ليسترضيه ، ويستعطف كرمه السنوى المعهود، وأن الفرعون بعدها ؛ ابتلى بشعور رهيب من الذنب ؛ فألقى بنفسه فى النيل كفارة عن فعلته بابنته. والقصة من مسج أوهام السوق، مما كان سواح الأغارقة والرومان ؛

ليلتقطونه من مسقط متاع الأزقة والحوارى، وليست فى القصة ما يؤديها تاريخياً من قريب أو بعيد !.

سادساً : ومن السمات البارزة للثقافة المصرية : السماحة الزائدة مع مختلف الأمم والشعوب، فلم تعتد مصر على أحد، ولم تزحف بجيوشها ، أو أساطيلها ؛ لإنشاء إمبراطورية فيما وراء البحار. وليس عجيبًا أن رسالات السماء إلى شعوب الأرض ، قد عبرت فوق أرض مصر ؛ فقد قدم إليها إبراهيم الخليل وزوجه المصرية هاجر أم إسماعيل ، وقصد إليها يوسف وأخوته ؛ بحثاً عن الزاد والقمح، كما ترى فى قصر فرعون مصر موسى كليم الله ، وهرب إليها المسيح وأمه ، يهيم فى رحلة العائلة المقدسة، حيث نطق الصبى : مبارك أهل مصر، ومن مصر خرجت مارية المصرية ؛ لتتزوج من الرسول ﷺ .

وعندما سقطت شمس الله على أرض النيل ، كان أول عمل قام به عمرو بن العاص ، أن أعاد البطريك القبطى بنيامين إلى عرشه المغتصب فى مدينة الإسكندرية، بعد أن كان الروم (البيزنطيون) قد نكلوا به وبأهله وبكنيسته، فبقى طريداً فى الصحراء ؛ حتى مجيء القائد الفاتح عمرو بن العاص سنة ٦٤١ م. وجاء الإسلام ليؤكد على حرية الإنسان فى العقيدة : {لا إكراه فى الدين} (البقرة)(*) : ٢٥٦). {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} (هود:١١٨) . {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (يونس:٩٩). {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (النحل:١٢٥).

ذلك هو منهج وروح الإسلام؛ فيه تكريم للعقل وللإرادة الإنسانية، ومن ثم كان الإيمان ثمرة الإرادة الحرة ، بغير إكراه أو إرغام .

(*) { لا إِكْرَاهَ فِي الدِينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } .

ولهذا فقد دخل المصريون فى دين الله أفواجا، وعاش المصريون مسلمين ومسيحيين ، فى بوتقة الانصهار الوطنى ، فى تناغم لا تعرفه بقعة أخرى على وجه الأرض. ولم يكن العرب أغرابًا على أهل مصر، فالمصريون هم خولة العرب؛ أبناء أختهم هاجر زوج إبراهيم الخليل ، وأم إسماعيل عليهما السلام .

سابعًا : الحكمة فى القول والعمل ، وهذه الحكمة فطرية فى أهل مصر، وهى من معطيات البيئة السمحة، والخبرات المتراكمة، والإيمان بناموس الثواب والعقاب، وتفيض سجلات الماضى بِحِكَمْ ترجع إلى ألوف السنين ؛ ولكنها تظل حتى نهاية الألفية الثانية دستوراً .

- نبيلا لمكارم الأخلاق وحسن المعاملة؛ استمع إلى بعض الحكم المصرية القديمة، التى جاءت الأديان السماوية ؛ لتؤكد على مصداقيتها :
  - لئن كنت طيبًا يراك الناس ، وتراهم فى حلل الطيبة.
  - الخيرون وقت الرخاء ؛ لا ينزعجون وقت الأيام العُجاف.
  - الكذب يهلك صاحبه فى نهاية النهار.
  - اهرب من النميمة ، ومجالس النمامين.
  - احذر الرشوة ؛ فهى مفسدة للضمير.
- لا تدخل المرارة على قلب والديك، فبمثل ما تكيل لهما ، سوف يكال لك من أولادك فيما بعد.

ثامنًا : الجهاد فى سبيل الحق :

لقد كان قدر مصر وسيظل ، أن تضطلع بدور القلعة للأمة العربية ، ففى مصر : تم بناء أول أسطول عربى ساد به الأمويون والعباسيون ، من بعدهم حوض البحر المتوسط .

وفى مصر قام الأزهر الشريف ؛ ليصبح قبلة للعلم والعلماء ، من مشارق الأرض ومغاربها، والأهم أنه صار قلعة تتصدى للأجنبى الغاصب ، وللحاكم الظالم على

حد سواء . والأزهر بعد هذا هو دون غيره ، القيّم على أمانة العقيدة في بلاد الإسلام قاطبة .

ومن القاهرة المحروسة ، خرج الأبطال المجاهدون ، من أمثال السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ليسترد القدس مدينة الله، وليلقن الصليبية درسًا في الأخلاق في معركة حطين (١١٨٧ م)؛ ومن أمثال السلطان قطز ، والسلطان بيبرس في معركة عين جالوت (١٢٦٠م) ضد وحشية المغول وخراب هولاكو .

ومن القاهرة أيضًا ، خرجت الأمة عن بكرة أبيها ، في السادس من أكتوبر (١٩٧٣ م) ، لتغسل عار الهزيمة ، ولتلقن الصهاينة درسًا ؛ لن ينسوه في يوم العبور المجيد. ويعلم الداني والقاصي أن الضربة الأولى التي أفقدت إسرائيل توازنها ، كانت بيد الطيار البطل محمد حسني مبارك ابن مصر البار.

وبعد ليس في ماضينا شيء نتبرأ منه، وليس في حاضرنا شيء نخجل عنه : الجد فرعوني أصيل، والأب عربي نبيل، والأم في الحالتين هي ابنة النيل الكريم، ولقد أعطت مصر للدنيا أكثر مما أخذت وتأخذ، وهي أبدًا تتعفف عما يتساقط من موائد اللئام ، من شرق ومن غرب، ومن شمال وجنوب ! .

العولمة والتربية

أ. د . أحمد حسين اللقانى

لعل من أكثر المصطلحات شيوعًا فى وقتنا الراهن، إن لم يكن أكثرها على الإطلاق مصطلح "العولمة" ؛ حيث يتناوله بالشرح ، والتحليل ، والتفسير ، وأحيانًا؛ بالتصدى والمواجهة ، علماء الاجتماع ، والإعلام ، والاقتصاد ، والسياسة ، والتربية .. وغيرهم .

ولقد أصبحت العولمة السلعة الرائجة فى كل الأسواق، والنغمة السائدة فى معظم المحافل، بل والأطروحة التى تتناولها بالشرح كل الأقلام ما بين مؤيد ومعارض، ومن ثم : فهى اتجاه عام يشمل العالم كله ، بجميع دوله الغنية ، والفقيرة ، والرامية إلى النمو أو التقدم .

والعولمة : هى واحدة من ثلاث كلمات عربية ، جرى طرحها ترجمة لكلمة (Globalization) والكلمتان الأخريان هما : "الكوكبية" و " الكونية" ، ونرى أن بعض العلماء يفضلون استخدام أى من المصطلحين، ويرون فيهما استخدام أشمل وأعم من العولمة، ولكننا نرى أن مصطلح العولمة هو ، المصطلح الأكثر شيوعًا فى شتى المجالات وخاصة ؛ حينما يكون الحديث عن الممارسات السياسية، والاقتصادية ، والعسكرية ، والثقافية.

ولابد هنا ، أن نتعرض لمصطلح آخر هو "العالمية" ، حيث يحدث الخلط أحيانًا بين"العالمية"، والعولمة" برغم أنهما نقيضان، فالعالمية هى : الانفتاح على العالم بمنجزاته ، وأفكاره ومعلوماته؛ ولكن هذا الانفتاح يتم دون قصر ، أو إجبار، يتم برضا وعن طريق

التواصل الحضاري الطبيعي بين الأمم، ويتم حين تنهل الأمم من ثقافات بعضها البعض ، بدون أن تحاول إحداها أن تفرض سيطرتها -أو هيمنتها على الدول الأخرى، أو وضع ثقافتها وحدها كنموذج وقدوة، وتحاول تهميش وإبعاد الثقافات الأخرى عن الساحة العالمية، عندئذ نكون قد وصلنا إلى بر العالمية، أما العولمة فلها شأن آخر ، فقد دأب الرئيس الأمريكي بيل كلينتون على المناداة بالعولمة من خلال أحاديثه المتكررة عبر وسائل الإعلام على أنها : انتقال المعلومات ، والأفكار ، والتكنولوجيا الحديثة بحرية بين الدول والقارات ، وإلغاء الحدود والفواصل فيما بينها، بمعنى : زوال الحدود والحواجز ؛ لكي يطل الجميع على ما يحدث في كافة أرجاء المعمورة .

وكما نرى فهذا التعريف ، هو أقرب لتعريف العالمية منه للعولمة.

ويعرفها إسماعيل صبري عبدالله بأنها : "ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد ، والسياسة ، والثقافة ، والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيها للعالم كله ، عبر الحدود السياسية للدول، وتحدث فيها تحولات على مختلف الأصعدة ، تؤثر على حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان، أما الكاتب السوري صادق جلال العظم فيعرفها على أنها ، "حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء ، في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها، وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ" أي يرى فيها قهر وسيطرة للأقوى على حساب الأضعف، كذلك تسليع لكل شيء (The Commodification every thing) .

أما المفكر العربي محمد عابد الجابري ، فيرى فيها "نفي للآخر، وإحلال الاختراق الثقافي محل الصراع الأيديولوجي"، كما يرى إنها شكل من أشكال الاستعمار الحديث ؛ فهي معنية بتنمية الفوارق، وتعميم الفقر، وهي مرتبطة مع وسائل الاتصال الحديثة ؛ لنشر ثقافتها القائمة على ثقافة الاختراق .

وأمام هذه الاهتمامات الواسعة بالعولمة وتأثيراتها، هل تحمل بين طياتها الخير والسلام للشعوب، أم الدمار والهلاك لاقتصادياتها وثقافاتها؟ وهل فيها الخير كله أم إنها تحمل الشر كله، هل نتركها تتغلغل داخل كياناتنا وتخترق ثقافاتنا المحلية ؟ أم

نحاول منعها بشتى السبل ؟ أم إننا مع الوقت لن يكون لنا الخيار فى أى شيء تجاهها ؟ بل علينا تقبلها على أى شكل تأتى به ، غزو اقتصادى، إعلامى ، ثقافى .. وغيره.

كذلك يثور التساؤل القائل : هل العولمة وليدة اليوم ؟ أم أن لها أصولاً تاريخية عالمية ؟

تاريخ العولمة :

العولمة ليست ظاهرة جديدة تطل علينا اليوم، أو هى وليدة التسعينات ؛ بل هى قديمة قدم التاريخ، يرى "حسن حنفى" ، إنها بدأت مع بدايات الحضارات ، حينما كانت تتصدر دولة بقية الدول، ثم تبدأ فى قيادة العالم سواء كانت هذه الدولة الصين ، أو الهند أو فارس أو مصر القديمة.

أما سعد الدين إبراهيم ، فيرى أنها بدأت منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، بالكشوف الجغرافية التى جعلت أرجاء المعمورة معروفة ، ومتصلة ، ومتواصلة ، تتاجر ، وتتبادل السلع ، والأفكار ، والمعارف ، ومع كل تقدم تِقْنى فى وسائل الإنتاج والاتصال ، والتواصل كان هذا الاعتماد يتزايد.

ثم شهد هذا الاعتماد المتبادل ، طفرات عدة فى القرن السادس عشر، والقرن التاسع عشر، ثم فى القرن العشرين ؛ وبخاصة فى الربع الأخير منه.

وبذلك تكون العولمة كيان موجود منذ القدم ؛ ولكنها جاءت اليوم فى شكل وثوب جديد يلخص سعد الدين إبراهيم هذه الاختلافات فى :

أولاً : اختلفت عولمة اليوم عن الأمس فى اسمها ، وليس مضمونها ، أو محتواها ، أو آلياتها.

ثانيًا: سرعتها المتناهية فى السنوات الأخيرة من هذا القرن.

ثالثًا : شمولها لمزيد من جوانب الحياة الجماعية ، والفردية.

رابعًا : مركزية الغرب فى قيادة حركتها ، طوال القرون الأربعة الأخيرة.

خامسًا : مركزية الولايات المتحدة الأمريكية ، فى قيادة الغرب الذى يقود عملية العولمة طوال العقود الأربعة الأخيرة.

١- والحقيقة أن عولمة اليوم اختلفت عن عولمة الأمس في اسمها، وكذلك في مضمونها، ومحتواها، وآلياتها، فقد جاءت تلبس عباءات عدة من الأسواق المفتوحة. والعالم قرية واحدة؛ وأزالت التمايز العنصري، والقنوات المفتوحة وإتفاقية الجات، وثورة الاتصالات، وحقوق الإنسان، وحقوق الطفل، وكلها مثل برّاقة أشبه بإلباس الباطل ثوب الحق، أو أساطير الأولين، ويقول عن ذلك "كيمون فالاسكاكيس" وهو رئيس إحدى معاهد بحوث المستقبليات في كندا: أنها أشبه بالمسرحية، وكل تلك الشعارات ما هي إلا أدوات، وما نحن إلا ممثلون على خشبة المسرح، كلٌ يلعب دوره، ولا تختلف السياسات أبداً؛ ولكن يختلف الممثلون والأدوات.

٢، ٣ - أما بالنسبة لسرعتها المتناهية، وشمولها للعديد من جوانب الحياة، فهو ما جعل أنظار العالم تلتفت لهذه الظاهرة الجديدة، وتقوم بدراستها.

٤، ٥ - ومما لا شك فيه، أن الغرب هو الذي يقود المسيرة الحضارية الآن، وتمثل أمريكا دور الريادة بالنسبة للغرب، وهو شرف سبق أن ناله الشرق قبل ذلك بقرون، على أن موازين الشرق تختلف عن موازين الغرب بالتأكيد، ففي الوقت الذي ضرب فيه المسلمون أروع المثل في الريادة، وحالوا نشر الدين، والقيم الإسلامية كالعدل، والتسامح، والأمر بالمعروف، والإحسان، تقف قيم المنفعية والمادية مع العولمة جنباً إلى جنب.

ولهذا قال المفكر والقاضي الأمريكي أوليفر وندل هولز (١٨٥٨م - ١٩٣٥م) : "الحق يمتلكه الشعب القادر على قهر الشعوب الأخرى".

كما قال الرئيس الأمريكي الأسبق تيودور روزفلت (١٨٥٨م - ١٩١٩م) : "أمركة العالم قدر ومصير أمتنا"، هذه هي قيم العولمة.

إذاً فالولايات المتحدة الأمريكية هي الراعي الرئيسي للعولمة، والدافع والمحرك لها، فالغرب يتزعم هذا التيار عامة، وأمريكا تتزعمه خاصة، فالعولمة هي، كيان اقتصادي، وسياسي، يشمل الدول العظمى، ويحتكر أوجه النشاط من، تجارة، وصناعة، وثورة معلومات، ويجعل الدول الفقيرة مجرد أسواق لمنتجاته، كذلك يهدد

الثقافات المحلية ويخترقها عن طريق وسائل الإعلام التى يمتلك معظمها، لذا فلابد لنا الآن من استعراض وسائله وأدواته.

وسائل العولمة :

للعولمة وسائل عدة تمكنها من السيطرة ، والهيمنة على العالم ، وهى كما أوردها د.محمد الجوهرى :

أولاً : الشركات عابرة القارات.

ثانيًا : وسائل الاتصال والمعلومات.

ثالثًا : منظمة التجارة العالمية ، وفتح الأسواق والحدود.

رابعًا : النظام الإعلامى الدولى الجديد.

خامسًا : الأمم المتحدة ومنظماتها وهيئاتها ومؤتمراتها.

سادسًا : القوة الأمريكية آلية من آليات العولمة.

العولمة والثقافة :

العالمية هى : ثمرة للتفاعل الحر والاختيارى بين الحضارات المتعددة والمتمايزة، تمثل القاسم المشترك والجامع لهذه الأمم والحضارات ؛ أى المشترك الإنسانى العام بينها والذى لا ينفى تمايزها فى الخصوصيات.

فالمنظومة العالمية ، هى حاصل جمع خصوصيات حضارية ، تصبح عالمية بالتوافق والحرية والاختيار، بينما العولمة هى قسراً قهراً يعولم خصوصية حضارية بعينها ، عندما تجتاح خصوصيات المقهورين، ففى العالمية يختار الإنسان ، وفى العولمة لا خيار للإنسان ، الذى يحشر ويشحن فى القطار الذى صنعه ويقوده الأقوياء.

إن العولمة هى اجتياح الشمال للجنوب، اجتياح الحضارة الغربية ممثلة فى النموذج الأمريكى للحضارات الأخرى ، وهذا تطبيق لفكرة الاجتياح ، وأسلوب صراع الحضارات؛ أى أن تصرع الحضارة الغربية ما عداها من الحضارات الأخرى .

فى هيمنة الغرب على المؤسسات الدولية ، وخاصة مجلس الأمن الدولى ، نجد أنه أصبح شبيهًا بمجلس الأمن القومى الأمريكى، حيث أخذ الغرب يقنن منظومة قيمه فى مواثيق يسميها دولية ؛ ليفرضها باسم الأمم المتحدة على العالم بأسره، صنع ذلك فى مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة سنة ١٩٩٤م ، وفى مؤتمر المرأة فى بكين سنة ١٩٩٦ م .

إن الإنسان فى المفهوم الغربى هو : الإنسان الأبيض وليس مطلق الإنسان، والحقوق بمفاهيمها الغربية : هى وقف على الإنسان الغربى . أما إنساننا ، فله الحرمان من هذه الحقوق، اللهم إلا إذا كان المقصد هو : تدخل فى شئوننا الداخلية أى انتقاص ، أو إلغاء حقوقنا فى السيادة الوطنية ، باسم المعايير والمفاهيم الغربية لحقوق الإنسان.

وفى الاقتصاد تعنى العولمة : القبول بالاندماج فى حال من البؤس الفاحش ، وبذلك يبلغ النظام الاقتصادى العالمى فى ظل الرأسمالية المتوحشة التى يريدون لها أن تكون قدر العالم، فإن عولمة هذا النظام ، تصبح تعميمًا للبلاء وإشاعة للفحشاء ، وتحويل المضاربة والسمسرة الحالية ، إلى غارات مالية سريعة الكر والفر ، تدمر الاقتصاد العينى للدول ، لأسباب تهم أباطرة المضاربات.

إنهم يريدون أيضاً العولمة فى الدين وضرب العقيدة ؛ فهم يشنون حربًا دينية بوسائل لا أخلاقية ، لا علاقة لها بمقاصد الدين ، أى دين ، ولا بحُرية الدعوة التى هى حق لكل أصحاب الديانات.

إن الأرض التى نعيش عليها ليست مجرد تراب أو طين، إنما هى الوطن والانتماء ، ووعاء الذكريات ، وديوان التاريخ ، وسيرة الأجداد ، ومصنع المقدسات، واللغة ليست مجرد أداة تعبير ، أو تخاطب ، إنما هى الفكر ، وهى الذات ، وهى العنوان ، بل ولها قداسة مالية، ومنظومة القيم تمثل مرجعياتنا فى السلوك، وهى ليست نسبية ، أو مرحلية ، إنما هى جزء من الثوابت. إن آثارنا ليست مجرد أحجاراً، إنما هى الإبداع ذاته تعبيراً ، عن الروح ، والوجدان ، والمثل الجمالية.

احتكار المعلومات قوة ، وهذا عكس ما يدعيه منظروا العولمة :

- تأكدت فكرة العولمة وذاعت بحكم شيئين الثورة العلمية، والتكنولوجيا ، وهذا يعني أن العلم أصبح لأول مرة عنصراً أساسيًا ، من عناصر الإنتاج منذ حوالى ٣٠ أو ٤٠ سنة ، والآن دخلنا عصر المعلوماتية ، حيث المعرفة هى الأساس وهى القوة، ومن يعرف أقوى ممن لا يعرف.

- العولمة مضللة ؛ لأن الفقراء يزيدون فقراً ، أو عدداً ، والأثرياء يزيدون ثراءاً ويقلون عدداً.

- إننا نستطيع أن نكون رقمًا فى هذا العالم ، ولكن عن طريق اكتشاف قوانا الذاتية ، ونحافظ على ما يسمى مقومات بقاء الشعوب، فالشعوب تموت والتاريخ يقول : أن هناك شعوبًا كثيرة أبيدت وأزيلت ، إلا إذا حافظت على مقومات بقائها، والمثقفون العرب مختلفون حول ما هى مقومات البقاء، فالبعض يرى أن اللغة ليست من مقومات البقاء وهذا كلام غير صحيح ، وإذا فقدنا الإتقان ، وهو مفقود بالفعل فنحن نفقد الكثير، والعلم وسيلة للعمل ، والعمل وسيلة للمال، فإذا جاء المال بدون علم ولا عمل ، فاللعنة على العلم والعمل معًا .

١- أصبح الحديث عن العولمة وإيجابياتها وسلبياتها ، وربما مخاطرها ومتطلباتها حديثًا مطولاً وممتداً ، فالجميع يتحدثون ويكتبون عن العولمة، كل من منظوره الخاص أو تخصصه الذى يفرض نفسه عليه، وقد اتفق الجميع بشكل مباشر أو غير مباشر على أن العولمة أصبحت شيئًا واقعيًا ، يفرض نفسه على شتى نواحى حياتنا السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ؛ بل إن العلاقات الدولية ذاتها أصبحت موجهة فى هذا الإطار.

وقد يرى البعض ، إن العولمة يمكن الأخذ بها، وقد يرى البعض الآخر ، إنه يجب تحاشى كل مظاهر العولمة والابتعاد ، عنها والحياة فى عزلة دون تأثير، أو مشاركة ، أو تأثر بها.

٢- والحقيقة أو العولمة أصبحت ظاهرة عالمية يصعب إنكارها ، أو تجاهلها ، أو الانطواء على الذات خوفًا من الضياع ، بين الدول ، التى تملك كل شىء بيديها ، بل وتمتلك كل المقدرات التى تجعلها تقود العالم من وجهة نظرها ووفقاً لمصالحها، وهكذا تصبح الدول الصغرى أو ذات الإمكانات المحدودة فى موقف لا يسمح لها فيه الانتقال من بديل إلى آخر، ولكن ليس أمامها إلا بديل واحد هو ، التبعية وما يرتبط بها من تكتلات سياسية ، أو اقتصادية ، أو عسكرية، ويعقب ذلك مباشرة الاختراق الثقافى ، واللغوى ، والدينى، بل ويكون التدمير الكامل لهوية أى دولة ، ترى أنها قادرة على أن تعيش وحدها بعيداً ، عن توجهات العولمة خطر فى كافة نواحى الحياة.

٣- ولذلك لا نستطيع القول ، أن العولمة خطر لابد من الابتعاد عنه، ولا تستطيع كذلك القول إنها أصبحت شيئًا واقعيًا ، ولابد أن تكون جزءًا منه، فكلا الأمرين تحيط به العديد من المخاطر.

ومن هنا ظهر الاتجاه الوسط بين هذا وذاك وهو القائل بأن : العولمة فيها مميزات كثيرة ، وفيها سلبيات كثيرة، وتستطيع الدول أن تأخذ منها وترفض منها ما تريد، وذلك فى إطار الظروف ، والإمكانات ، والثقافة الخاصة بكل دولة، وبالتالى تكون لكل دولة حرية الاختيار وفق معايير وضوابط خاصة نابعة من أصولها ، وجذورها ، حتى لا يكون اليوم الذى تجد فيه الدول الصغرى نفسها مجرد كيانات صغيرة ، تدور فى فلك دولة عظمى، وهنا تفقد لونها ، وثقافتها ، وأنماط الحياة السائدة فيها ، وكذا تاريخها وعقيدتها ، ولغتها ، وشخصيتها.

٤ - العالمية والعولمة (الكوكبية).

٥ - العولمة اجتياح الشمال للجنوب ، واجتياح الحضارة الغربية ، ممثلة فى النموذج الأمريكى للحضارات الأخرى، وهذا تطبيق لفكرة الاجتياح وأسلوب صراع الحضارات.

٦ - هيمنة الغرب على المؤسسات الدولية ، وخاصة مجلس الأمين الدولى الذى أصبح شبيهًا بمجلس الأمن القومى الأمريكى ، وأخذ الغرب يقنن منظومة قيمه فى

مواثيق يسميها دولية ؛ ليفرضها باسم الأمم المتحدة على العالم بأسره، وقد صنع ذلك فى مؤتمر السكان والتنمية سنة ١٩٩٤ م بالقاهرة وفى مؤتمر المرأة فى بكين ١٩٩٦ م .

٧ - الإنسان فى المفهوم الغربى هو ، الإنسان الأبيض وليس مطلق الإنسان.

٨ - الحقوق (حقوق الإنسان) هى ، وقف على الإنسان الغربى أما إنساننا فله الحرمان، اللهم إلا إذا كان المقصد هو التدخل فى شئوننا الداخلية.

٩- الاقتصاد يعنى ، القبول بالاندماج فى حال من البؤس الفاحش .

وقد يبدو من الناحية النظرية أن هذه الأفكار غير منطقية ، ولكن الواقع يشير إلى أن العولمة فرضت نفسها بشكل واضح فى العديد من الواقف ، والأحداث ، والسياسات.

ومن هنا ، فإن المؤسسة التربوية فى أى دولة تحمل مسئولية جسيمة، فهى اعتادت منذ زمن بعيد ، على أنماط وأساليب تربوية تقليدية ، جاءت من رصيد الماضى وخبرات الآباء والأجداد، وهى من المؤكد كانت مناسبة للظروف التى نشأت فيها، بل استمرت لسنوات طويلة ، نظراً لاستمرارية الظروف وعدم تغيرها أو تطورها بدرجات مميزة، ومن هنا لم يكن هناك حاجة إلى التطوير، ولكن الأمر وفى إطار العولمة أصبح التطوير أمراً حتمياً ويفرض نفسه ، لأن نوعية المواطن من حيث معارفه ، واتجاهاته ، وقيمه مهارات قد تغيرت، فالعولمة بكل توجهاتها فى حاجة إلى مواطن قادر على صناعة المعرفة ، والتأثير فى ثقافات الآخرين، والأخذ من الثقافات الأخرى بما يتناسب مع ثقافته ويتسق معها وليكون رافداً من روافد تغذيها عبر الزمن .

إن هذا كله وغيره كثير يعنى ، تربية من نوع جديد وكذا آليات جديدة ، ومؤسسات جديدة ، ومناهج ، وأساليب تدريس مغايرة ، ومصادر تعلم متعددة ، وانفتاح فكرى على كل الثقافات ، لأن العصر القادم فى حاجة إلى قدرة فائقة على تبين نواحى التشابه أو الالتقاء بين الثقافات ، من أجل المزيد من الفهم ، والتفاهم ، والتوصل إلى حلول عقلانية للمشكلات، المترتبة على اتساع نطاق العولمة وشمولها ، لكافة مجالات الحياة وعلى كافة المستويات.

ومن المؤكد ، أن هناك مجموعة التحديات التى تفرض نفسها علينا، وملخصها أن هناك فقدان الوعى لدى كثير من المواطنين ، بسبب مجموعة من التحديات والتى تتمثل فى :

أولاً : لا يوجد وعى كافى لدى الجمهور ، بسبب الأمية ومحدودية الثقافة.

ثانيًا : قصور البحث العملى فى الحياة العامة، وحاجته إلى الوسائل التكنولوجية المتقدمة.

ثالثًا : قصور الاهتمام بتعريب الإنتاج المعرفى العلمى ونقل تراثنا الثقافى إلى لغات أخرى ، وليس مجرد نقل التراث الأجنبى إلينا، ولكن أيضًا القصور فى نقل ثقافتنا إلى العالم الخارجى.

رابعًا : تدهور الكثير من القيم الأصيلة، وسوء تقدير عديد من أشكال الإبداع، فالمبدعون لا يجدون التقدير الكاف.

خامسًا : اتساع الفجوة التكنولوجية بين الدول الفقيرة والدول الغنية، وقلة الاهتمام بدراسة الأدب منذ مرحلة الطفولة، وهذه نتائج دراسات وهذا تلخيص عن كل ما ذكر عن العولمة ، وتحدياتها لنا فى الفترة المقبلة.

سادسًا : الاستعداد للتقليد الأعمى لكل ما هو غربى ، وسيطرة الإعلام العالم على العقول، وهناك إحصائية ذكرتها الإذاعة والتليفزيون تقول أنه يوجد ٣٢٠ موقع مشبوه على شبكة الإنترنت ، لجميع الأعمار حتى الأطفال، طبعًا هذه الأخطار مفجعة.

وهنا نقول إن جوهر هذه المسألة ، هو الذى جعل غاندى حينما أراد أن يحافظ على الهوية الثقافية للشعب الهندى ، أمرهم بتعلم اللغة الهندية ، فى المدارس ، وتعليم الحضارة الهندية والثقافة الهندية، ولا تجعلوا الناس تقتلع من جذورها، فردوا عليه وقالوا : ليس لدينا إمكانات، فقال : أقيموا مدرسة تحت كل شجرة، ومن هذا المنطلق نذكر مجموعة مسلمات أساسية هى :

١- الثقافة القوية ، هى التى تسيطر على الثقافات الضعيفة، مثال ذلك الأمريكيين والإنجليز، والفرنسيين يسيطرون علينا لأنهم يملكون القوة التى يفرضون

بها أنفسهم علينا، وإن ما يمكن أن يحدث من استيعاب ثقافة قوية لثقافة ضعيفة ، يعد أمرًا منطقيًا وشيئًا طبيعيًا جدًا ، أن تحتوى الثقافة القوية على الثقافات الضعيفة، حيث تزداد سيطرة الثقافة القوية بما تملكه من معرفة وتكنولوجيا ، تؤثر بها فى عقول الآخرين .

٢- تدعيم وتحسين ثقافتنا، وذلك عن طريق الحفاظ على لغتنا ، وتاريخنا ، وفنوننا ، وعقيدتنا ، ومكانتنا العالمية، وتهذيب الثقافة عن طريق تنقيتها من كل ما أسق عليها من ثقافات أخرى ، لا تتفق والثقافة القومية فى جانبها المادى ، والمعنوى ، والمعرفى .

٣ - هناك حاجة إلى تحديد الإيجابيات والسلبيات ، فى واقعنا التعليمى ، والتربوى، وبحوثنا على أن يكون ذلك فى إطار معاييرنا الخاصة، وذلك لأن التعليم قوة فى سبيل الحفاظ على الهوية الثقافية.

٤ - التربية التى تؤدى إلى التميز والجودة الشاملة ، أصبحت من الأفكار الرئيسية فى الفكر التربوى، والفكر التربوى اليوم فى الدول المتقدمة لا يبحث عن تعليم الجمهور ؛ وإنما يبحث عن التعليم والتربية من أجل التميز والجودة الشاملة.

٥ - القيم الدينية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والاجتماعية ، هى الإطار الذى يجب أن يتحرك فيه المواطنون.

٦ - نحتاج فى تربية المواطن إلى الترابط بين الفرد والوطن ، فأنت عضو فى هذا الوطن، ولا يأتى لنا شاب لا يتجاوز خمسة عشر عامًا ويقول : أنا سوف أحصل على الثانوية العامة وسوف أهاجر، وهذا أمر خطير ، لأنه لا يوجد ارتباط عضوى بينه وبين المكان الذى يعيش فيه .

٧ - المنهج العلمى هو السبيل لتطور الحياة، إذًا العلم والتفكير العلمى ، هما السبيلان إلى مواجهة كل المشكلات الموجودة.

٨ - الاندفاع نحو التغريب واعتباره من مظاهر التقدم الرئيسية يعد البداية لتدهور الثقافة ، والهوية الثقافية، فمسئولية إعداد الأبناء ، لابد أن تكون فى إطار التمسك بالأصالة مع عدم التضحية بالمعاصرة، تجمع بينهما، وباختصار شديد المواد الدراسية وواقع الدراسة، والإدارة ، والأبنية التعليمية ، والمعلم ، هذه أمور محسومة

أى لابد من توافرها، وإنما الأمر الذى أريد أن أذكره ، هو اللغة العربية القومية ، جوهر حياة أى شعب، ولا يوجد شعب فى العالم ، يحاول أن يتخلى عن هويته ولغته، واللغة وعاء الثقافة، التى تميز شعب عن بقية الشعوب، وهى أداته للتفاهم ، والتفاعل ، والحياة، لذلك لابد من رعايتها ، وإتقان مهارتها، واستخدامها فى تطوير الثقافة، فاللغة أداة لتطويرها ، وتهذيبها ، ونقلها للأطر الثقافية الأخرى، ومن ثم تربية الأبناء ليكونوا قادرين على الارتقاء بلغتهم القومية.

٩ - اللغات الأجنبية مهمة ، لكى نطل على الثقافات الأخرى، أنا محتاج أن أعلم أبنائى اللغة الألمانية ؛ لكى نعرف ماذا يصنع الألمان، ونأخذ ما يصلح ، وما يتوافق مع الثقافة الوطنية التى تدعم ثقافتنا، وهنا نقول نعمد لتعليم اللغات لا للتعليم باللغات، أى لا أعلم التاريخ ، والجغرافيا بالإنجليزى ، وإنما أعلمه الإنجليزى ؛ لكى ينفتح على الثقافات الأخرى، ويقرأ ويستجيب .

التربية الدينية :

لا نقول تعليم الدين، بل نقول التربية الدينية لأنها تهدف ، إلى تدعيم القيم لدى الأبناء، تلك القيم التى تعدل السلوك، ويحتاج هذا الأمر إلى المعرفة القائمة على الفهم، والعلاقة بين الدين والحياة، لأن التربية الدينية الحالية تعلمه أشياء لا علاقة لها بالحياة، ولا يعرف شكل تطبيقاتها فى الحياة إذ لابد من أن نعلمه فى التربية الدينية ما يوصله بالحياة، وممارسات الحياة اليومية ، والعلاقات السائدة.

التاريخ :

هو ذاكرة الأمم، ومخزون تراثها الثقافى، ومع ذلك فإن دراسة التاريخ ليس فيها أكثر من ، استيعاب أطراف من أحداث تاريخية ، اعتماداً على السرد ، والتلقين ، والحفظ، وبينما يعد التاريخ من المواد الأساسية التى نتعلم من خلالها كيفية التفكير، وإصدار الأحكام، والمقارنة والتحليل، والتفسير، شأنها فى ذلك شأن أية مواد دراسية أخرى، ويتوقف هذا الأمر بطبيعة الحال على تسبية الحقيقة فى مقابل الحقيقة المطلقة، ونحن نعلم أولادنا أن هناك حقيقة واحدة، ولكن حينما نعلمه أنه يوجد أكثر من وجه للحقيقة ، يعتبر هذا بداية التفكير العلمى ، وهو بداية التفاعل والتطور.

التربية الوطنية :

وهى مادة معنية فى أساسها ، بأمر تربية الأبناء فى إطار المواطنة الصالحة، فكراً ووجداناً ، وسلوكًا ، ومن ثم فهى تعليم للمعلومات والمعارف عن الحقوق والواجبات، لكن هذا الأمر لا يعتبر كافياً ، ولا يمكن تصور أن تعليم هذه الأمور ينتقل بشكل تلقائى من الوجدان إلى السلوك، وليس مجرد معرفة هذه الحقوق والواجبات ، أن أصبح الفرد مواطناً صالحاً ، ولكن لابد أن ينتقل هذا الكلام من إطار المعرفة إلى النسيج الوجدانى، وإلى السلوك إذ أن تربية الفرد من خلال هذا الموضوع ؛ لابد أن تسعى إلى تربية الفرد ليكون مواطناً عالميًا ، ليس بمعنى العولمة وإنما أيضًا يكون منتمياً إلى وطنه ، فى إطار منظومة عالمية.

العلوم والرياضيات :

وهى لغة العصر، وعلوم المستقبل وتحمل القدر الأكبر من بداية التراكمات العلمية ، والمعرفية، ولذلك من الضرورة بمكان العناية بهاتين المادتين لتعليم الأبناء ثقافة المستقبل استناداً إلى تراكمات العلم ، والمعرفة، وهذا يعنى أن نكون على درجة عالية من الحساسية بكل مستحدث وجديد فى هذين المجالين، وأن نعلم أبنائنا المعارف الجديدة ، وما يتصل بها من مهارات أساسية.

الحاسبات الإلكترونية :

تحتل مكانة متميزة فى كافة المجالات ؛ لدرجة أنها أصبحت الوسيلة الرئيسة؛ للتعامل مع كافة المتغيرات العلمية ، والعالمية أيضاً.

الفنــون :

الفن لغة يمكن من خلالها أن نفهم ماذا يجرى فى العالم ، وما يسوده من التيارات والتفاعلات ، وما مواقع الاتفاق، والاختلاف بين مختلف ثقافات العالم، وإذا كان أبناؤنا فى حاجة إلى تعلم لغات أجنبية على الأقل للإطلاع على ثقافات أخرى ، فهم فى حاجة أيضًا إلى فهم فنون الدول الأخرى، فهى نوافذ يطلون من خلالها على مكونات أساسية لعديد من ثقافات العالم، ولاشك أن تحقيق الحد الأدنى من الفهم للعالم

هو بدايات الحوار الهادف، والتفاهم العالمى ، وحل المشكلات التى اعتاد الإنسان على محاولة حلها عن طريق الصراعات السياسية ، والاقتصادية، وطبعاً أؤكد على صناعة وإنتاج المعرفة .

المراجـــع

١ – حسن حنفى، صادق جلال العظم : "ما العولمة ؟ " ، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .

٢ – سعد الدين إبراهيم : "العولمة فى الخطاب العربى: نظرية المؤامرة والتفسير الخرافى"، جريدة الأيام، نقلاً عن الحياة اللندنية، ١٩٩٨/١٢/٣١م .

٣ – كيمون فالاسكاكيس : العولمة كمسرحية، ترجمة بهجت عبدالفتاح، القاهرة، دار مطبوعات اليونسكو، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، يونيو ١٩٩٩م .

٤ – شوقى جلال : "العولمة الوجه الأعلى فى مراحل الامبريالية" ، جريدة الأيام، نقلاً عن الحياة اللندنية، ١٩٩٩/١/٢م .

٥ – محمد الجوهرى : "العولمة والثقافة الإسلامية"، القاهرة، دار الأمين، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

الثقافة والتربية والتحديات الثقافية
خلال الأبعاد التاريخية

أ. د . عبد الفتاح حجاج

مهام الثقافة والتربية فى الارتقاء بالفرد والمجتمع

يمثل الإنتاج الثقافى للمجتمع ركيزة أساسية ، من ركائز المحافظة على مقومات الحياة فيه واستمرارها، بل وتطويرها وتحسين نوعيتها، الأمر الذى يعكس قدرات الإنسان على التفاعل الإيجابى مع معطيات الحياة بمختلف جوانبها. كما أن ممارسة عملية التربية – فى المقام الأول – الحفاظ على ثقافة المجتمع ونقلها من جيل لآخر، فضلاً عن السعى ؛ لتطوير الموروث الثقافى ، باعتبار أن الثقافة ليست شيئًا جامدًا، وإنما تعبر عن مضمون متغير ؛ حيث إنها من صنع الإنسان خلال تفاعله الطويل مع عناصر بيئته الطبيعية ، والاجتماعية .

وكما أن الثقافة – هى فى جوهرها – عملية تربوية ، تستهدف تحسين شكل الحياة ومضمونها ، النسبة للفرد والمجتمع، فإن التربية – هى فى واقع الأمر – عملية ثقافية ، بحسبان أن أهدافها ، ومحتواها ، وطرائقها تتحدد فى ضوء خصائص النمط الثقافى السائد . وعليه، ليس بمستغرب القول بأن الثقافة ، والتربية يمكن النظر إليهما باعتبارهما وجهين لعملة واحدة ، وكذلك يمكن القول أن الإبداع الثقافى ، رهن بتوفر نظام تربوى جيد ، وخلاق .

مظاهر تلك المهام فى مصر عبر العصور

تعد مصر من المجتمعات الرائدة ، فى مجال الإبداع الثقافى بصفة عامة ، والشواهد على ذلك كثيرة ومتعددة ، ولعل ذلك ، يعزى فضلاً عن مقومات البيئة

الطبيعية إلى مقومات ، وسمات الشخصية المصرية ، وفى مقدماتها الجمع بين الجوانب العقلية ، والوجدانية ، بالإضافة إلى القدرات والمهارات التنظيمية ، ولقد نجم عن ذلك ، ارتباط عضوى وثيق بين الجهد التربوى ، والحياة الثقافية فى تلك العصور القديمة ، ولقد استند نمط التربية فى مصر القديمة ، إلى فلسفة المجتمع ، وغايات ومقومات الحياة فيه ، وتجسد ذلك فيما وصل إلينا من نتاج ثقافى متنوع فى شكل حكم ، وأشعار ، ونصوص ، ووصايا ، فضلاً عن أشكال الفنون المختلفة ، من نحت ، وتصوير وغير ذلك. وفى العصور التالية (بطلمية، رومانية، مسيحية، إسلامية) نلمس تحولاً فى أهداف ومضمون التربية ، تبعًا لفلسفة المجتمع فى كل عصر ، وبدوره انعكس ذلك على المنتج الثقافى بصوره المختلفة ، مما تزخر به مصر فى طول البلاد وعرضها مما يعتبر سجلاً حاملاً بما مر به المجتمع المصرى ، وما قام به المصريون من نشاط إنسانى خلاق، الأمر الذي يشير إلى ثراء الجهد التربوى والتعليمى فى تلك العصور. ولعل مما تجدر الإشارة إليه ، فى هذا الصدد ، إنه برغم تباين العمليات والإجراءات التربوية ، بتباين خصائص العصور التاريخية ، إلا أن التراكم الثقافى يشير إلى التواصل ، الأمر الذى تجسده العديد من أشكال وصور الإنتاج الثقافى . كما أن الحضارة المصرية – فى مراحلها المختلفة – قد أنتجت طرحًا ثقافيًا ، يعبر عن التفاعل البناء مع الأنماط الثقافية المعاصرة ، والمجاورة لها، وهذا يفسر لنا التواصل الثقافى بين الثقافة المصرية وغيرها .

وفى ضوء ذلك ، يمكن القول أن التاريخ الذى صنعه وسطره المصرى عبر العصور المختلفة ، يؤكد أن التربية عملية مجتمعية دينامية ، لها مردودها الثقافى ، ذلك المردود الذى يحتم على التربية مداومة إنتاجه ، والحفاظ عليه وتنقيته ، وتطويره بما يكفل انسجامه وتناغمه مع معطيات الحضارة الإنسانية بصفة عامة. إن هذه النظرة ، إلى الدور الذى تقوم به التربية فى مجال الإنتاج الثقافى ؛ لتؤكد أن العلاقة بين التربية والثقافة علاقة جدلية وثيقة ، تتجسد فى الأبعاد الزمنية الثلاثة، الماضى ، والحاضر ، والمستقبل .

أما فيما يتعلق بالوقت الحاضر ، فإن التربية - كمرفق مجتمعى - تواجه العديد من التحديات والتى يتوقف على مواجهتها وأساليب التعامل معها ، تحديد ملامح الدور المستقبلى للتربية وعلاقتها بالإبداع الثقافى ، ولقد أفرزت تلك التحديات وضعًا جديداً ، أدى إلى جدل ملموس بين عناصر وصور الثقافة المحلية ، وتلك الوافدة فى مجالات الأدب ، والفن ، والإعلام ، والإبداع الفكرى بصفة عامة ؛ مما ترتب عليه نوع من المواجهة بين الأنا ، والآخر واقتضى ضرورة السعى لحسم تلك المواجهة بما يضمن الحفاظ على الهوية من جانب ، والإفادة من الروافد الثقافية الوافدة من جانب آخر ولعل من أبرز التحديات المعاصرة ، التى تؤثر فى علاقة التربية بالثقافة والتى تسهم فى الوقوف على أبعاد العلاقة بين الخصوصية ، والعالمية فى الإبداع الثقافى ما يلى :

ثورة المعلومات :

لعله ليس من قبيل المبالغة القول : بأن البشرية أنجزت فى النصف الثانى من القرن العشرين ، فى مجال المعلومات ، ما يفوق ما أنجزته عبر تاريخها الطويل ، ولقد انعكس ذلك على معدلات التغير والتطور فى مجال الثقافة ، بحيث أضحى أكثر سرعة وأوسع انتشاراً ولقد ساعد على ذلك التطور الهائل فى وسائل وتقنيات الاتصال المختلفة والتى وفرت آليات تدفق المعلومات ، وتبادل العناصر الثقافية ، الأمر الذى أدى إلى أن يصبح العالم - كما يتردد كثيراً - "قرية صغيرة" ، مما يلقى على كاهل النظم التربوية العديد من المسئوليات ، ويطالبها بمواجهة تلك التحديات. والمتبع للحركة العلمية والأدبية، والفنية ، والفكرية بصفة عامة فى مصر ، يلمس - وبجلاء - انعكاس تلك الثورة المعلوماتية ، على الإبداع الثقافى ، وظهور حركات واتجاهات التجديد فى مختلف مجالات العمل الثقافى، ومحاولات الخروج على القوالب التقليدية المألوفة ، وظهور رؤى وإبداعات فكرية ، وأدبية ، وفنية جديدة.

ظاهرة العولمة :

لقد مهدت الثورة المعلوماتية ، إلى ظهور ما يسمى بالعولمة ، كظاهرة أثارت ولا زالت تثير الكثير من الجدل بين الباحثين ، والمفكرين فى مختلف أبعادها

ومضامينها. وبالرغم من أن الفهم المبدئى للعولمة ، يشير إلى مضمون اقتصادى فى المقام الأول، سياسى اجتماعي فى المقام الثانى، إلا إنها - وبلا شك - تحمل ثقافة جديدة قد تلقى بعض الاتفاق ، أو قدراً من الاختلاف مما يحتم التصدى؛ للتعمق فى فهم وإدراك أبعادها. ونظراً لما يتردد من مفاهيم تتعلق بعولمة الثقافة أو ثقافة العولمة، وبحسبان ما سلفت الإشارة إليه ، من علاقة وثيقة بين الثقافة ، والتربية فلقد تعددت الاتجاهات الفكرية التى تحدد موقف التربية من ظاهرة العولمة ، والتى يمكن أن نجمل أبرزها فيما يلى :

الرفض التام : ينظر أنصار هذا الاتجاه إلى معطيات ظاهرة العولمة ، ونتاجها الثقافى ، بالكثير من الشك والريبة ، باعتباره تهديداً للهوية الثقافية للمجتمع المصرى ، ويستهدف السيطرة الثقافية ، وما يستتبعها من خدمة مصالح القوى الكبرى فى العالم. ومن ثم يرى هؤلاء ، إن عمليات الحداثة والتحديث ، تهدد وبالضرورة الثابت والأصيل فى الموروث الثقافى. ووفقًا لهذه الرؤية ، يتعين على التربية ، تكريس التراث الثقافى والحفاظ على المألوف من الآداب ، والفنون ، وكافة أشكال الإنتاج الثقافى .

القبول والتحمس : يبدى أنصار هذا الاتجاه ، تأييداً للعولمة وثقافتها باعتبار أنها لا تمثل تهديداً للهوية الثقافية للمجتمع ، بقدر ما تسهم فى إعادة تشكيلها ، وتطويرها ، حتى يمكن التكيف مع معطيات الحياة المعاصرة. ولعل المتتبع للإنتاج الأدبى ، والفنى ، والفكرى فى مصر الآن ، يمكن أن يلمس بوضوح مؤشرات على مدى تأثر هذا الاتجاه ، - غضاضة فى ذلك - استناداً إلى أن محاكاة النماذج الثقافية المقدمة ، يعد الخطوة الأولى والضرورية للإبداع الثقافى، وعلى التربية - وفقًا لهذا الاتجاه - ضرورة التأكد على أهمية التواصل الثقافى، وإعداد الأفراد بصورة مرنة تضمن سهولة انخراطهم فى التيارات الثقافية العالمية ، والقدرة على الإفادة منها.

القبول الحذر : ويرى أنصار هذا الاتجاه ، أن للعولمة سلبياتها ، وإيجابيتها، ومن ثم ، فإن التربية مطالبة بالسعى للحفاظ على مقومات الهوية الثقافية الوطنية ، مع الاستفادة من الإمكانات الإيجابية للعولمة ، والسعى الحثيث لجعل الثقافة الوطنية بعناصرها المختلفة قادرة على الحد من سلبيات العناصر ، والروافد الثقافية الوافدة.

تنامى سيطرة رأس المال فى المجال الثقافى:

من الملاحظ فى الآونة الراهنة ، أن هناك اتجاهًا متزايدًا للاستثمار فى مجالات العمل الثقافى ، ومجالات الإبداع الفكرى والفنى، ولعل الشواهد ، تشير إلى أن ذلك، تمخض عن تأثيرات سلبية على نواتج العمل الثقافى فى حالات كثيرة ، حيث ينظر إليها باعتبارها "سلع" ذات قيم مادية، ولهذا فلا غرابة أن نلاحظ أن بعضًا من الإنتاج الثقافى بمفهومه الواسع - فى مجالات الكتابة ، والنشر ، والتصوير، والموسيقى ، والغناء ، والسينما وغيرها ، أصبح يملكه وتحكم فيه أصحاب رؤوس الأموال من المستثمرين ، الأمر الذي يمثل تحديًا كبيرًا أمام الإبداع الثقافى ، كما يمثل فى بعض جوانبه خطرًا على الثقافة الوطنية ، وهنا يبرز دور التربية ومؤسسات التعليم المختلفة ، باعتبار أن التعليم كسبيل للتقدم يعد جوهر السباق ، والمنافسة بين المجتمعات فى الآونة الراهنة ، وأن يتعين الاهتمام فى مجال التعليم بالأنشطة الثقافية ، وبتنمية القدرات الإبداعية لدى الشباب، وذلك من منطلق ، أن هذا يمثل أساسًا قويًا ، يمكن أفراد المجتمع من مواجهة التحديات فى مجال السباق الثقافى ، وتجلياته المتنوعة .

إطلالة على المستقبل :

لعل أهم ما يجب على التربية أن تعنى به فى "تعليم" الثقافة ، إنما يتمثل فى ضرورة التأكيد على الثقافة الوطنية ، بما تمثله من أصالة ، وانتماء ، وذلك عن طريق استراتيجية تربوية مرنة ، تسعى إلى المزج بين الخصوصية ، والعالمية من خلال الحفاظ على المنجزات الثقافية ، وحصرها فى كافة المجالات ، وتنمية وعى أفراد المجتمع بأهمية ذلك ، مع ضرورة السعى لإحياء العناصر الثقافية الأصيلة. من ناحية أخرى ، يتوجب على مؤسسات التربية، العمل على تنمية المواهب ، والقدرات الإبداعية ومن ثم روح الانتماء ، والولاء للثقافة الوطنية ، لما يتعين على مؤسسات التربية ، التركيز على كل ما من شأنه ، تنمية الحس النقدى ، والتمييزى لدى الأفراد بما يمكنهم من مقاومة عوامل الغزو الثقافى ، ومحاولات الاحتواء، وكذا تعزيز القدرة على الانتقاء الواعى .

إن نجاح التربية فى تكوين العقلية ، المتكاملة الناقدة من شأنه تدعيم قدرة النشء على التدقيق ، والتقييم السليم وتمييز الغث من السمين، والتجاوب مع نواتج الإبداع الثقافى التى تتدفق إلينا فى عصر ، سقطت فيه الحواجز، والاختيار من بين هذه النواتج بما لا يتعارض مع الجوانب الأصيلة فى ثقافتنا ، وبما يحقق الاستفادة من المستجدات الثقافية ، والتفاعل الإيجابى البناء بين ما هو وطنى ، وما هو وافد، وبما يكفل الاندماج فى المنظومة العالمية ، فى الوقت الذى نحتفظ فيه بكيان ثقافى مستقل واضح الملامح .

المحور الثانى

الثقافة فى جوانبها الإبداعية

الطفل المبتكر

بين الثقافة والتربية

أ. د . سيد صبحى

يقول الحق سبحانه وتعالى : {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} (النساء ، الآية :٩) .

هذا القول الربانى الموجه والمرشد ، يقودنا إلى أن نؤكد على حقيقة هامة مؤداها: "إن المفكرين البارزين من الرجال والنساء فى أى عصر من العصور ، هم المؤشر الدال على طفولة مثيرة خصبة ، وهم أيضًا بحكم تنشئتهم يعبرون فى عصرهم عن يقظة الضمير الاجتماعى أو نعاسه ، وجدية الاهتمامات أو عزلها، ودرجة الإيمان بالعمل أو الكفر به، ومن حيث نزاهة الرأى أو ميله مع الهوى.

من هنا كانت الطفولة ، صانعة المستقبل بإذن الله وهى التى فى مقدورها بفضل الرعاية التربوية السليمة ، والثقافة الواعية... أن تعود بنا إلى جادة الطريق ، بعد أن انحرف.

ولما كانت الثقافة ، هى عين التربية التى ترى من خلالها المجالات المنوعة من الفكر ، والحضارة . فإن التربية تغذى الثقافة ، بما تقدمه من معطيات سلوكية من شأنها أن تدعمها ، وكأن العلاقة بين التربية والثقافة ، هى علاقة تفاعل وتواصل وتوحد !! .

والاهتمام بالطفل وبقدراته الابتكارية وتوجيه هذه القدرات الوجهة السليمة ، أصبح من الأمور الضرورية.. الآن من يتناول "الابتكار" بالبحث ، فإنما يتناول المستقبل بمعنى من المعانى، ويتناول فى نفس الوقت ، التغيرات التى ينتظر أن تطرأ

على الإنسـان وحـيـاتـه ، ووظائفـه أو على المجـتـمـع ، ونظمـه وعـلاقـات الأفـراد الذين يؤلفونه ، ويعيشون فيه.

والاهتمـام بالطفل أيضًا من حيث تربيتـه ، وتنشئتـه ، ورعـايتـه وتقـديم الجـوانب الثقافية له ، هو سعى إلى واقع أفضل ، وبحث وراء مستقبل أعظم ، ومحاولة للتنبؤ بما ينتظر المرء فى غده من أحداث ، وما يتعلق بذلك الغد من آمال ، وتوقعات وتمنيات.

ولعل ذلك مـا يجـعل الاهتمـام بالابتكار والمبتكريـن من الأطفـال ضـرورة تحتمـهـا الحياة التى نعيشها، تلك الحياة التى تحمل بين جنباتها ، حركة مستمرة تدفعها أفكار المبتكرين ، تلك الأفكـار التى إذا انعدمت وتلاشت، أصبـحت الحيـاة بمثابة مسـتنقع « اش » لا يفوح منه إلا كل رتيب ، وجامد ، ومتحجر.

والطفل بوصـفـه مـحـور هذه الدراسـة ، يتـأثر بدرجـة المستوى الثـقـافى للوالدين ، وهو يمر بعملية التنشئة الاجتمـاعيـة **Socialization Process** على اعـتبـار أن المسـتـوى الثقافى للوالدين ، يعد بمثابة مفتاح يساعد الأبناء على التعامل مع المجالات المختلفة ، ذلك أن مـسـتـوى ثقـافـة الوالدين يجـعلهـمـا يوظفـان مـعلومـاتهـمـا ، ومـعـارفـهـمـا ، وانتقاءاتهما الثقافية فى شكل أسـاليب مـعاملة توجه نحو الأبناء، خـاصة وأن الثقافة كمـا نرى من وجهة نظرنا، "طريقة حياة الناس ... تلك الطريقة التى تعتبر بمثابة نسيج من المعرفة ، والمعتقدات ، والقيم ، والمهارات ، وأنماط التفكير" ومن هذا المنطلق يكون مـدخلنا فى هذه الدراسة يعتمد على : "أن مـا يعتقده فرد معين ومـا يفعله... وكذلك أسلوب استجابته لمختلف المثيرات فى بيئتـه ، يتوقف على الثقافة التى يشب فى ظلها هذا الفرد، بحيث يمكن القول: أنه إذا كـان هـنـاك من يسـلم بأن الثقـافة مفـهـوم عام، فـإن هذا التـصـور لا ينفى فى الوقت ذاته أن هذا المفـهـوم العـام ، لا معـنـى له إلا فى حياة الأفراد ، وطرق معيشتهم ، وأنماط سلوكهم.

وقد قام (سيد صبحى ، ١٩٧٥) بدراسـة عن المحكات الرئيسية ؛ للتعـرف على المسـتـوى الثـقـافى للأسرة ، وعلاقتـه بتنميـة القـدرات الابتكارية للأولاد ، وكـانت هذه المحكات متمثلة فى "درجة تعليم الوالدين – مـدى توافـر أدوات الثـقـافـة داخل المنزل– استـخدام الأسـرة لما يتـوافر لديهـا من أدوات الثقـافـة – نشـاط الأسـرة الثقـافى خـارج

المنزل – معتقدات الأسرة وعاداتها وقيمتها – ممارسات ثقافية موجهة نحو الأبناء(*) .

وجدير بالذكر ، أن هذه المحكات ، قد استرشد بها بعض الباحثين الذين اهتموا بدراسة تأثير المستوى الثقافى للأسرة ، على قدرات الأولاد الابتكارية وسوف نتناول هذه المحكات ؛ لتوضح مدى تأثيرها على قدرات الأولاد وذلك على النحو التالى :

القدرة على الابتكار عند الطفل ، وعلاقتها بدرجة تعليم الوالدين :

تمثل درجة تعليم الوالدين أهمية بالغة ، حيث تساعد على إظهار إمكانات الأبناء الابتكارية، وأن مستوى التعليم للوالدين ، قد يلعب دوراً فى كونه يوظف خبرات الأبناء ، مما يعطيهم الفرص المناسبة للتعبير عما لديهم من قدرات ، وقد يمكن هذا المستوى المرتفع من التعليم للآباء ، من متابعة أولادهم متابعة واعية فاهمة ، لما يقدمونه من إرشادات ، وتوجيهات من شأنها أن تغذى هذه القدرات ، وتعمل على تنميتها .

القدرة على الابتكار عند الطفل ، وعلاقتها بتوفير أدوات الثقافة داخل المنزل:

توافر أدوات الثقافة داخل المنزل شرط من الشروط الضرورية، إلا أن هذا الشرط ليس كافيًا ، على اعتبار أن هذه الأدوات ، تحتاج إلى التوظيف الواعى بها، مما يؤكد على أهمية درجة تعليم الوالدين ، التى كلما ارتفعت كلما كان الأبناء على دراية بهذه الأدوات من خلال آبائهم، وذلك على أساس أن درجة تعليم الوالدين هذه ، من شأنها أن تجعلهم ينتقون ، ويختارون هذه الأدوات، فضلاً عن أن هذه الدرجة المرتفعة من تعليم الوالدين ، تتيح للأبناء خطًا كافيًا من الترشيد بهذه الأدوات .

القدرة على الابتكار عند الطفل ، وعلاقتها باستخدام الأسرة لما يتوافر لديها من أدوات الثقافة :

لابد من توظيف أدوات الثقافة توظيفًا سليمًا ، حيث يؤثر هذا التوظيف فى تشكيل شخصية الأبناء ، ويساعدهم على إظهار مهاراتهم ، وقدراتهم ، فمن خلال

(*) راجع إلى الأستاذ الدكتور / سيد صبحى : بحوث دراسات فى الابتكار – عالم الكتب ، ١٩٧٥

هذا التوظيف يتعلم الأبناء كيف يختارون ، وينتقون، ويقرءون ويسمعون ، بل وكيف يأكلون ويتكلمون... وكل هذه الاختبارات تشكل الأبعاد الرئيسية للشخصية ، وتنعكس بدورها فى تصرفاتهم ، بحيث يصبح توظيف أدوات الثقافة داخل المنزل ، حجر الزاوية فى إعطاء الأولاد الفرصة لإظهار إمكاناتهم وطاقاتهم .

القدرة على الابتكار عند الطفل ، وعلاقتها بالنشاط الأسرى خارج المنزل:

الحرص على إمداد الأبناء بخبرات ثقافية ، واجتماعية مثيرة ، لكى نضيف إليهم حقائق جديدة تشكل لهم نوعًا من التحدى لميولهم ، وذلك باصطحابهم إلى نزهات خلوية ، وإلى رحلات علمية ، يلتقط من خلالها الأبناء خبراتهم الجديدة ، ويصبح النشاط الثقافى الذى تقوم به الأسرة خارج المنزل ،

معبراً بصورة دقيقة عن حياة الأسرة ، وطرائق معيشتها، تلك الطرق التى تعد بمثابة إطار من المعرفة ، والميول ، والاهتمامات يعيش فيها الأبناء فتنعكس على سلوكهم ، وتصرفاتهم وقد تظهر فى أعمال تعبر عن قدراتهم الكامنة Potential abilities.

القدرة على الابتكار عند الطفل ، وعلاقتها بالممارسات الثقافية الموجهة نحو الأبناء:

تمثل الأسرة الوسط الاجتماعى الذي يعمل على تشكيل الطفل إبان حياته الأولى ، وذلك وفقًا للأنماط الثقافية التى تتبناها هذه الأسرة.

والأسرة هى الوسيط الذى ينقل كافة المعارف ، والمهارات ، والاتجاهات ، والقيم التى تسود المجتمع ، بعد أن نترجمها إلى أساليب عملية فى تنشئة الأبناء ، متمثلة فى مناقشة الأبناء فى القضايا المحلية ، والعالمية، وتوفير المجال الكافى لهم لمتابعة ميولهم ، وهواياتهم داخل المنزل ، وخارجه، ومناقشتهم فى الموضوعات التى تهمهم ، وتشجعهم على الإطلاع على كتب ثقافية خارج المقررات الدراسية.

وتعتمد المهارة اللغوية عند الطفل المبتكر على مدى فهمه ، وإدراكه للتباين والاختلاف القائم بين الكلمات ، والحروف ، وإدراك التماثل والتشابه اللغوى .

وإذا كان الطفل على درجة عالية من المهارة اللغوية ، ومتمتعًا بالطلاقة اللفظية ، فإن هذه الدرجة العالية ، ترتهن لعملية التطبيع الاجتماعى ، وما يصاحبها من أبعاد ثقافية ، وحضارية ، واقتصادية ،

إلا الأسرة ذات المستوى المرتفع من حيث الثقافة ، تعطى الطفل من خلال توفير أدوات الثقافة ، الفرص التى تمكنه من هذه الطلاقة اللفظية.

وجدير بالذكر أن رعاية المحصول اللفظى للطفل ، يتطلب رعاية وعناية تربوية من قبل الأسرة، بحيث لابد من التصرف على المستوى الواقعى للمحصول اللفظى للطفل ، والمستوى المتوقع، ثم تنمية المستوى الواقعى ، حتى يصل إلى المستوى المتوقع، ومن هنا وجب تشجيع الطفل على أن يعبر عن نفسه وينطلق .

الطفل وهو يلعب :

يمثل لعب الطفل أهمية بالغة ، لأنه بمثابة الوسيلة التى من خلالها يرفه عن نفسه ويخفف من أعباء الجد ، والعمل (خاصة عندما يقوم بالمذاكرة أو التعامل مع الواجبات المدرسية).

ومن هذا المنطلق ، فإن اللعب بالنسبة للطفل ، يمثل ضرورة حيوية يتم بواسطتها نمو الجسم ، وتطوره. وتتجلى هذه الحقيقة ، حين نرى الطفل يستغرقه انهماكه فى اللعب، وهذا الاستغراق ينمى جسمه ، ويعمل على تفتح ملكاته، ويبعث دبيب الحيوية فى كيانه ، وبطبيعة الحال يمر الطفل بمجموعة من المواقف ، يلتقط من خلالها الخبرات، ويخطئ مرة ويصيب أخرى ،

وقد نجد بعض الآباء لا يقدرون أهمية اللعب بالنسبة للطفل ؛ لأنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء مشاهدة الأطفال وهم منهمكون فى لعبهم ، أو قد نجدهم وكأنهم قد نسوا أو تناسوا أنهم كانوا يومًا يلعبون !! .

واللعب بوصفه ينمى روح الجماعة فى الأطفال ، ويغرس فيهم سلوك الاعتماد على النفس ، والقدرة على القيادة ، والمروءة ، والتعاون ، والمنافسة، وذلك يلقى

بالمسئولية على دور الأسرة فى تشجيع الأولاد على اللعب ، وحتى يفهم، وقد يكون من الممكن أن نقدم بعض الإرشادات للآباء والأمهات ، بشأن الاهتمام بتوظيف اللعب ، وأهمية ذلك فى نمو قدراتهم الابتكارية ، ولعل أهم هذه الإرشادات :

(أ) أن تشمل أدوات اللعب كل ما يدفع الأولاد إلى استخدام عضلاتهم ، ثم مجموعة أخرى تعودهم التفكير ، والاستنباط ، والتركيب .

(ب) تفضيل الألعاب والأدوات التى لها صلة باللعب ، والتى تكون قابلة للتحوير، والتكييف ؛ بدلاً من تلك التى لا تهدف إلا لإشباع هواية طارئة ، ويقصد بها تلك الألعاب التى تحتاج إلى بذل المجهود، حتى يتغلب عليها.

(ج) التنوع فى اللعب من الأمور الضرورية ؛ لأن الخبرات المنوعة المتعددة تعطى الطفل الفرصة ؛ لكى يكتشف طرائق جديدة، أو يضيف إضافات مثمرة، وعلينا أن نشجع الأطفال بدلاً من توجيه اللوم إليهم ، فما قد نراه تشويهاً للعبة التى قد اشتريناها له، يراه هو إضافة خاصة ، إذا كانت هذه الإضافة يتناولها الطفل بتفسيرات عقلانية فى حدود قدراته ، واستعداداته.

(د) إذا كان الآباء والأمهات يميلون بدافع من الحرص على الأبناء إلى متابعتهم وهم يلعبون ، فلا بأس من ذلك، ولكن دون تدخل ، ودون إيحاء لهم... فالطفل يجب أن ينطلق وهو يلعب ، ويرفض هذه الأنظمة ، والقوالب التى قد يفرضها بعض الآباء ، وهم يتابعون أطفالهم.

الطفل وهو يسأل :

يعد التساؤل ، والاستفهام ، والدهشة ، من الأمور التى تمثل رغبة فى استجلاء العلاقة بين مختلف حقائق الأشياء ، والاحساسات ، ولقد فطر الإنسان على ذلك ، فنلاحظ من خلال نشاطه العقلى مدى رغبته فى توضيح كوامن الأشياء ، معرفة طبيعة الإحساس، وقد يعانى من مواجهة الصعوبات ، والعقبات، ويصبح نشاطه ومثابرته من العوامل الدافعة له ، لكى يتصرف ويحاول تحقيق ما يريد.

وتحقير مظاهر حب الاستطلاع أو إهمالها ، يسبب للطفل مشكلات وخيمة العواقب، فحب الاستطلاع عامل مهم فى تنمية قوة الملاحظة بما يؤدى إليه من تركيز انتباه الطفل وتوقد فكره، وسبيلنا إلى تغذية ذلك الفضول فى الطفل ، هو التركيز على الألعاب التى تكثر فيها الكلام ، وتجاذب أطراف الحديث .

والطفل يريد أن يجد من خلال فضوله متنفسًا ، فهو يميل إلى كثرة الكلام ، والاستفهام، ويحاول من خلال مثابرته المستمرة ، أن يجد التفاعل من الوالدين، لأن الوالدين تقع عليهما مسئولية كبيرة ، إزاء هذا الولع الموجود لدى الطفل .

وأحيانًا يقع الوالدان فى حيرة شديدة تجاه الأسئلة الكثيرة التى يلقيها الطفل عليهما ، وقد نجدهما لا يدريان من أمر هذه الحيرة شيئًا أو يقعون تحت أسر التقاليد، والأعراف الاجتماعية، ولكن الدور الذى ينبغى أن يؤديه الآباء والأمهات فى مثل هذه الظروف ، يتجلى فى مدى حرصهم على الرد ، بحيث يضيف الطفل فى حدود إمكاناته العقلية ، وخبراته المعاشة ، مجموعة من المعلومات ،

فقد لا نستطيع أن نتصور مدى ما يشعر به الطفل الذكى من الحرمان ، إذا نشأ فى أسرة انصرف جميع أفرادها إلى شئونهم الخاصة ، غير ملتزمين بالإجابة عن أسئلته، أو يتركون الطفل يحصل على الإجابات من خلال معلومات (الخدم) أو الشغالات فى البيوت ، أولئك الذين يقدمون المعلومات المشوهة أو يجتهدون اجتهادات لا ترقى إلى مستوى المسئولية والأمانة.

الطفل المبتكر وأحلام اليقظة :

يمر الطفل المبتكر بما قد يسمى أحلام اليقظة **Daydreams** ، على الرغم من أن أحلامه تخالف فى طبيعتها تلك التى نجدها عند المراهق ، حيث يلعب العامل النمائى العضوى دوره فى تحقيق هذا الفرق بين أحلام الطفل ، وأحلام المراهق، إلا أن الطفل المراهق فى أحلامه يتصور أيضًا نفسه بطلاً، لاعبًا فذًا للعبة يهواها ويحبها، ويحاول أن يتقمص شخصية البطل فى حركاته ، وما يسفر عنها من أداء ومهارة، إلا أن الطفل قد يصاب بحكم تكوينه الصغير ببعض الاحباطات ، من عدم قدرته على تحقيق

أحلامه أو عندما يواجه من قبل الوالدين بعدم الفهم، أو بسوء المعاملة أو السخرية التى تشعره بحدوده، وترجعه بطريقة متعسفة مسرفة الشدة إلى قلة حيلته وضعفه، وقد يؤدي هذا السلوك بالطفل إلى ما يسمى بلغة علم النفس التجريبى (الانطفاء) ، ومن هنا ينبغى أن ، نشجع الطفل لكى يخرج من دائرة الأحلام إلى الواقع المعاش ، ليسهم بطريقة إيجابية فعالة ، ولا نجرح إحساسه المرهف من خلال تأنيبه أو تذكيره بأنه مازال صغيراً ، لا يقوى على شيء أو إنه هيهات له أن يكون كما يتخيل !!.

وإذا كنا قد عرضنا لبعض ملامح الطفل المبتكر، فإن هذا العرض نهدف من خلاله إلى إلقاء الضوء على ضرورة التربية الأسرية ، التى تتمتع ببعد ثقافى يؤثر بدرجة من الدرجات ، وبشكل من الأشكال على قدرات الطفل وتطلعاته ، ومن هنا وجب ، الحرص من قبل الآباء والأمهات على المعاملة السوية لأولادهم ، بعيدة عن التسلط أو القسوة فى المعاملة ، أو التذبذب ، أو التفرقة أو ما شابه ذلك من اتجاهات والدية المسرفة فى الشدة ، وبعيدة عن الأصول التربوية ، والثقافية ، والنفسية السليمة.

التربية وثقافة الإبداع

أ. د . صلاح قنصوة

تعد عمليات التربية الناقلة ، أو الحاملة Vehicle الرئيسية للثقافة عبر الأجيال ، ولكنها غير محايدة أو عضوية، بل هى متميزة وواعية عامدة (أو قصدية) وفقًا للقوى ، والفئات السائدة والمهيمنة فى المجتمع .

والتربية بوجه عام عملية ذات طابع محافظ ؛ لأن القائمين عليها أو المسئولين عنها فى مختلف مجالاتها ، ومستوياتها ، يفرضون على الصغار – أو الجيل الجديد – ما قد ثبت نجاحه أو ملاءمته فى مراحل حياتهم الماضية ، التى دعت إلى ترسيخها سياقات وأوضاع ثقافية فات أوانها.

فالمرجعية التربوية عادة ، مرجعية ماضوية تعتمد على آليات التذكر ، والاسترجاع ، والاستنساخ. بينما يواجه الجيل الجديد زمنًا ، أو عصراً، تختلف متغيراته المستجدة عما سبق من المتغيرات ، التى تفاعلت وصاغت الوضع القديم الذى ينتمى إليه المربون .

وعلى هذا الوجه ، تتبع التربية التقليدية طريقًا يلتزم اتجاهًا واحداً يمتد من الجيل السابق ، إلى اللاحق ، ولا يقبل عكس مساره ، فلا يرضى المربون أن يتلقوا التربية ممن يقومون بتربيتهم بطبيعة الحال ،

ولا يعنى استمرار هذا الخط أنه أمر لا فكاك منه، وإلا أدى إلى حالة من الركود ، والجمود مما من شأنه ، أن يوطد التخلف، ويؤكد التبعية لمن يملك من الدول الأخرى القدرة على المبادرة، ومن ثم الاحتياج.

ولعلنا إذا ما توجهنا إلى الثقافة نفسها بمعناها العلمى العام، لتبينا القنوات الممكنة ، لتثبط الطابع المحافظ للتربية، من أجل تشجيع الطابع الإبداعى ، الذى ينبغى أن يتدفق دون حواجز ، أو سدود فى كل قنوات الثقافة ، وحقوقها .

فالثقافة بمعناها العلمى ، هى أسلوب الحياة ، أو المعيشة التى تضم جملة الفاعليات ، والمجالات الإنسانية التى تتبدى فى السلوك، والتفكير معًا ، مما ييسر تعلمه ونقله عبر المؤسسات ، والأنساق ، والنظم الاجتماعية ، سياسية، أو اقتصادية، أو علمية ، أو فنية، أو دينية ....الخ.

وللثقافة مستويات ، أو طبقات Strata ثلاثة : الأول ما يمكن تسميته بثقافة "الجدل"، فجلده المرء عشيرته، وأجلاده أعضاؤه وجوارحه، وهى التى تتحدد بالعرق، والدين ، واللغة بدرجات متفاوتة، وهى المستوى ، أو العناصر التى لا تتميز ثقافة أمة عن أخرى فى امتلاكها.

والطباق الثانى هو ، ما يمكن تسميته بالمستمر القومى، أو المشترك الثقافى، وهو الذى يواصل نفوذه من ثنايا تلك الجوانب ، والآثار والعناصر التى تتجمع وتترسب عن الثقافات المتعاقبة ، وتتشابك معًا ، لتبقى حية مؤثرة ، وهى مجموع الجوانب المشاعه لدى أعضاء الأمة ، رغم اختلافهم ، وتفاوتهم ، فهو بمثابة مجرى جوفى ، أو تيار تحتى متدفق دون وعى أو اختيار.

ويتألف من رواسب ثقافية ذات روافد متعددة ، فقد تختفى العقائد القديمة المتروكة، ولكنها لا تكف تمامًا عن مزاولة تأثرها تحت ممارسات لا نعى أصولها العتيقة.

أما الذى يعنينا ، فهو الطابق الآخر من الثقافة، وهو الثقافة المعاصرة التى نتداولها بوعى وتصريح، ورغم صبغتها الخاصة الغالبة التى تميزها عن غيرها من ثقافات الأمم الأخرى، إلا أنها ليست متجانسة، لأن الصبغة السائدة ، هى التى تعبر عن توجهات الفئات المسيطرة ومصالحها. ولذلك نجد فى صميم تلك الثقافة "أقاليم" زمنية ثقافية شديدة التفاوت ، رغم العصر الراهن الواحد الذى يضمها معًا .

فالثقافة صيغة من صيغ الفكر ، والسلوك وأسلوب للاستجابة للعالم والتأثير فيه ، ومن ثم قد يستعار ذلك الأسلوب أو تلك الصيغة من ثقافة مرحلة سابقة ، وهى تصادم الأقاليم الزمنية الثقافية فى مسعى كل منها إلى تأكيد ، أو تغليب رؤيته الخاصة للعالم والانتصار لها. وعلى هذا الوجه، تكون الثقافة متخلفة، إذا ما تشبثت بجمود آلية التذكر ، التى تؤدى إلى الضيق والتقلص، وتكون متقدمة إبداعية، إذا ما تفتحت إمكانياتها للتوسع والامتداد . فهناك بعض جوانب المجتمع الذى بدأ مستقبله أو غده، وهناك من لم يبلغ أمسه بعد ، ويختلف الجميع، ويتفاوتون فى استجاباتهم للمتغيرات العالمية ، التى تتجاوز حدود مجتمعهم .

وعلى التربية إذن ، أن تحاول وتبتكر، وتبادر إلى التقريب بين تلك الأقاليم الزمنية الثقافية ؛ للمشاركة فى الحضارة العالمية، ولا أقول الثقافة العالمية، لأنها ستظل متفاوتة متنوعة متعددة، وتتطلب المشاركة ، الاتفاق على طرق المنافسة وفقًا لشروط اللعبة العالمية ، وقواعدها. ولا ينبغى أن نتصايح خوفًا على هويتنا ؛ لأن الهوية هى ما نصنعه بالفعل، وننافس فيه الآخرين، ونبدعه، وليست بطاقة شخصية، أو مستند ملكية عقارية قديمة نخشى عليها من الضياع ، إذا ما شاركنا فى مباريات الحضارة العالمية .

وما يمكن أن يقدم من يدى هذا الاقتراح من تفاصيل من أجل تربية ، تنمى ثقافة الإبداع، سيكون موضعه بحثنا الكامل بمشيئة الله .

دور المؤسسات التربوية فى تنمية الإبداع

أ. د . محمد أمين المفتى

مقدمة :

تشير التحولات ، والتغيرات السريعة فى عالمنا إلى بدء عصر جديد ، يتسم بالثورة التكنولوجية، والمعلوماتية، والتكتلات الاقتصادية، والتنافس بين الدول، وظهور حركة العولمة، وغير ذلك من السمات التى يضيق المقام لذكرها ،

هذا يؤدى إلى نشوء مجتمع كونى جديد ، يحمل بين طياته تحديات داخلية وخارجية ، ينبغى مواجهتها، وإيجاد حلول لما ينشأ عنها من مشكلات ، قد تؤثر على مستقبل الأفراد ، والمجتمعات .

لعلنا فى مثل هذه الظروف ، فى أَمَسْ الحاجة إلى تنمية عقليات قادرة على التفكير بطريقة علمية ، وقادرة على الإبداع حتى يمكن مسايرة التغيرات ، ومواجهة التحديات ، سواء على المستويين المحلى ، والقومى أو على الصعيدالعالمى ،

وإذا سلَّمنا بأن العقل والد الثقافة ووليدها، وأن التربية بمؤسساتها ، تنشأ فى رحم الثقافة ، وهى المسئولة عن إعداد الفرد ، وتنمية عقليته، فإن المؤسسات التربوية التى تنشأ فى ثقافة الذاكرة ، تعد عقليات نمطية تهتم بالمضمون دون منهج التفكير الذى نسج هذا المضمون، وهى عقليات استهلاكية للمعرفة، واستاتيكية، وخطية تذكرية استرجاعية، أما المؤسسات التربوية التى تنشأ فى ثقافة الإبداع ، فتعد عقليات علمية تهتم بمنهج التفكير المبثوث داخل المضمون، وهى عقليات استكشافية مبدعة، منتجة للمعرفة، دينامية ومنظومية، وفى كلتا الحالتين ، تمد هذه المؤسسات التربوية المجتمع

بما تعده من عقليات ، فإما يكون المجتمع ، مجتمع يعتمد على التذكر والاسترجاع واستهلاك المعرفة، أو مجتمع مبدع منتج للمعرفة ، وهذا يؤثر بدوره على مرتبة المجتمع فى مصاف دول العالم.

لعلنا نرى ، أن هناك علاقة تأثير وتأثر بين الثقافة ، والتربية ، فالعقل الذى ينشأ فى كنف ثقافة الذاكرة ، ومؤسساتها التربوية ، ينتج ما يدّعِم مقومات هذه الثقافة ومضمون مكوناتها ، ويصبغها بنفس صبغته، أما العقل الذى ينشأ فى كنف ثقافة الإبداع ، ومؤسساتها التربوية ، فإنه ينتج ما يدعم هذه الثقافة .

وتذكر أنيسة فخرو (١ : ٤٥) : أن « هناك علاقة بين الثقافة والتربية، فكل منها يؤثر فى الآخر ، فالعلاقة بينهما فى اتجاهين ، فمن ناحية تعتبر الثقافة مكملة للتربية والتعليم، ومن ناحية أخرى فمن أهم مهام التربية والتعليم ، هو غرس ورعاية الثقافة فى نفوس الأجيال » .

ورد فى هذه المقدمة عدة مصطلحات هى التربية، والثقافة والإبداع ، وهناك اتفاقًا بين من قاموا بتعريف كل من التربية والثقافة ، أما الإبداع ، فهو مصطلح ، ومفهوم خلا فى تعدد تعريفاته ، واختلف لذا سوف نتناول مفهوم الإبداع بشىء من التفصيل ، قبل تناول المحور الرئيسى ، وهو دور المؤسسات التربوية فى تنمية الإبداع.

مفهوم الإبداع :

هناك عدة تعريفات للإبداع، كل فئة منها تعرفه بدلالة الاهتمامات العلمية ، وتوجهات البحث فى المجالات التى توجد فيه، ويمكن حصر أهم هذه الفئات فى الآتى:

- الإبداع كعملية لها مراحل متتابعة ،لحل مشكلة بطريقة فريدة ، وأصيلة.
- الإبداع كنتاج له مواصفات معينة.
- الإبداع بدلالة الإمكانات ، والظروف والمناخ العام السائد حول الفرد.

الإبداع كعملية :

جاء تعريف الإبداع كعملية لها مراحل لحل مشكلة معينة، نتيجة دراسة وتحليل أعمال مشاهير رجال الأدب، والعلوم، والرياضيات، والفن، بالاستعانة بسير حياتهم ومقابلتهم. وقد تمكن جراهام ولاس بعد دراسة كل من هلمهولتز، وبوانكاريه تحديد أربع مراحل للعملية الإبداعية هى الإعداد، والمكون، والإشراق، والتحقق ،

حيث يتهيأ الفرد فى مراحل الإعداد لحل مشكلة – سبق أن قام بتحديدها – عن طريق دراسة الظروف المحيطة بالمشكلة، وتسجيل الملاحظات ومحاولة إيجاد حلول لها.

ثم تأتى مرحلة الكمون ، التى قد تطول أو تقصر، وتتشكل فيها الحلول المحتملة ، ويتم فيها تصويب الأفكار ، وتكوين تركيبات جديدة منها ، ثم تليها مرحلة الإشراق ، حيث يحدث فيها إحساس مكثف ، يشعر به الفرد عندما تتخذ تركيبات الأفكار شكلاً محدداً يتمثل فى حل للمشكلة، والمرحلة التالية هى مرحلة التحقق ، وخلالها يضع الفرد الحلول التى توصل إليها ، تحت الاختبار والمراجعة .

الإبداع كنتاج :

الإبداع كنتاج له مواصفات محددة هى ، الطلاقة وتتمثل فى إنتاج أكبر عدد من الاستجابات ، المرتبطة بالمشكلة، والمرونة وهى ، التنوع ، واللانمطية فى الاستجابات الصادرة، أما الأصالة فهى ، جدة وحداثة هذه الاستجابات .

تأخذ العلاقة بين العملية الإبداعية ، ونتاجها إحدى الصور التالية (٣: ٤٦٥).

- جدة العملية وجدة النتاج ، وهى أرقى صور الإبداع.
- عدم جدة العملية ، وجدة النتاج.
- جدة العملية ، وعدم جدة النتاج.

الإبداع بدلالة المؤثرات والظروف :

يظهر الإبداع كنتاج من خلال تفاعل الفرد مع الأحداث ، والظروف ، والمواد ، والأفراد التى ترتبط حياته بهم، ويساعد على ظهور النتاج الإبداعى ، والاستقرار ، والتآلف والاتساق بينها.

ويرى الكاتب إنه يمكن التوفيق بين هذه الفئات الثلاث من التعريفات فى التعريف التالى للإبداع :

"الإبداع هو عملية لها مراحل متتابعة ، تهدف إلى تكوين علاقات جديدة ، تؤدى إلى نتاج يتسم بالجدة والتنوع، وذلك فى مناخ عام يسوده الاتساق ، والتآلف بين مكوناته وعناصره".

إن المؤسسات التربوية بمختلف أنواعها لها دور هام فى تنمية الإبداع نعرض أهمها فى الصفحات التالية :

أولاً : الأسرة :

تعتبر الأسرة من أول المؤثرات التى يتعرض لها الطفل فى مرحلة طفولته المبكرة، وتتميز هذه المرحلة بالمرونة ، وقابلية الطفل للتشكيل ، فهو يتأثر بالجو الاجتماعى والنفسى فى محيط الأسرة، وهذا يمكن أن يكون من العوامل المساعدة على غرس النبتة الأولى للإبداع، أو قد يكون من العوامل المحيطة للإبداع .

وقد أكدت بحوث كل من كاتوكوفسكى ، وايزنمان (٢: ١٦٩) ، أن الجو الديمقراطى داخل الأسرة من شأنه ، أن يعطى الفرصة لظهور إمكانات الإبداع. كما أن جو الأسرة الذى يتعود فيه الأبناء على الثقة بالنفس من خلال السماح لهم بالتفتح لخبرات جديدة، والبحث عن الجديد، والجو الأسرى الذى يتسم باستقرار العلاقات والأمن النفسى هو الجو الملائم لتفتح الإمكانات الإبداعية الكامنة فى الطفل وهذا ما توصلت إليه بحوث ودراسات منها ما أجراه كل من فابن والقوصى (٢: ٧١)، أما إذا خلا الجو الأسرى من هذه المواصفات ، فمن الصعب توقع تفتح الإمكانات

الإبداعية ، أو نموها لدى الطفل ، وهذا ما أثبتته بحوث ودراسات كل من القوصى، وعبدالغفار، ووينكوت (٢: ١٦٩ - ١٧١).

كما أثبتت البحوث أيضًا ، عن وجود ارتباط بين كل من درجة تعليم الوالدين، وأدوات الثقافة وتوظيفها المناسب، ومعتقدات الأسرة وقيمتها من جهة ، وبين قدرة الطفل على الإبداع ، وهذا ما أشارت إليه البحوث الارتباطية لكل من شافر ، وأنستازى، ويوسف مراد، وماكلوجهين، ووارنر، وعبدالغفار (٢: ١٧٤ - ١٧٩).

وبناء على ذلك ، فإنه يمكن القول بأن الممارسات الديمقراطية فى محيط الأسرة، والجو النفسى داخلها الذى يتسم بالاستقرار ، والأمان ويبعث على ثقة الطفل بنفسه، ويحثه على التفتح للخبرات الجدية من خلال البحث عن الجديد ، هو الجو الملائم الذى يجب أن تهيؤه الأسرة للطفل حتى تتفتح إمكاناته الإبداعية .

ثانياً : المؤسسات الإعلامية:

تعتبر المؤسسات الإعلامية مؤسسات تربوية غير نظامية ، ولها تأثير كبير على تربية الفرد وتنشئته، وتشكيل عقليته ، وشخصيته لما لمضامين ما تقدمه من جاذبية ووسائل إقناع من شأنها أن ترسخ أفكاراً ، وتمحو أخرى .

فأحيانًا ما تقدم هذه المؤسسات مواد وبرامج ، قد تتناقض مع ما تحاول الأسرة والمدرسة تقديمه ، لإعداد الفرد فعلى سبيل المثال ، توجد من المواد المقروءة أو المرئية ، أو المسموعة ما يشجع على التفكير غير العلمى، أو الغيبى، التفكير الخرافى دون قصد، وهذا من شأنه أن يعوق ما تبذله المؤسسات ، مما يساعد على تنمية العقليات العلمية الناقدة المبدعة. لذا ، فإن الإشراف التربوى على ما تقدمه هذه المؤسسات، يساعد على تحقيق الاتساق ، والتآلف بينها وبين المؤسسات التربوية الأخرى، ويرشح أى مضمون من أى شىء يعوق تنمية الإبداع.

ثالثاً : المدرسة :

المدرسة صورة مصغرة من المجتمع الذى أنشأها ؛ لتكون من وسائل تحقيق غاياته، وهى بالتالى لا يمكن أن تنفصل عنه، ويعد الجو المدرسى من المؤثرات التى

يتعرض لها الفرد بجانب الأسرة، وجوهر هذا الجو وطبيعته تتوقف على أسلوب إدارة المدرسة ، وتطبيق اللوائح المدرسية، وطريقة ضبط التلاميذ، ونوعية العلاقات بين أفراد إدارة المدرسة وبينهم وبين التلميذ.

وقد دلت نتائج عدة دراسات منها ، ماكورمك (٤: ٧٥ – ٨٢)، وتوماس وبيرك (٥: ٣٥١١ – ٢٦١١) ، أن بقدر ما يسود الجو المدرسي من ممارسات ديمقراطية، وتشجيع، ويخلو من كبت الآراء وعدم تقديرها، ومن التهديد ، والتشدد ، والعقاب بقدر ما يساعد هذا الجو على تفتح الإمكانات الإبداعية لدى التلاميذ.

ويمكن أن يسود هذا الجو فى المدرسة ، عن طريق السماح للتلاميذ باقتراح الأنشطة التعليمية ، والترفيهية التى يشعرون بميل نحوها، وأن يقوموا بالتخطيط لها، ومناقشتها ، واقتراح طرق تنفيذها، وهذا بالإضافة إلى الأنشطة الفنية التى تعد من نوعيات الأنشطة التى تساعد – بما فيها من آثار للتخيل والتصور – على تفتح الإمكانات الإبداعية لدى التلاميذ ، وكذلك عن طريق تطبيق نظام الحكم الذاتى ، الذى يكفل للتلاميذ بعض الممارسات الديمقراطية فى نطاق المدرسة.

وينبغى فى الوقت نفسه ، أن تبتعد إدارة المدرسة وهيئة التدريس فيها عن الاتجاه التسلطى فى إدارة المدرسة ، وإدارة حجرة الدراسة، وما يصاحبه من كبت لآراء التلاميذ وعدم تقديرها، وبممارسة النقد وتقبله، وباحترام الرأى الآخر.

ويعد مثل هذا الجو المدرسى ، هو الجو الصحى الذى ينبغى أن يحيط المحاولات المنظمة العلمية التى تجرى داخل حجرة الدراسة ، لتنمية إبداع التلاميذ.

رابعاً : المجتمع:

وكما تؤثر الأسرة، والمدرسة بمواقفها التعليمية على الفرد وتشكيله ، فإن المجتمع بكافة مؤسساته ، والممارسات التى تجري داخله ، لـه تأثيره أيضًا الذى لا يمكن تجاهله أو إغفاله.

ولعل ما ذكر من قبل عن ضرورة الاتساق بين طبيعة المناخ كل من الأسرة، والمدرسة ، والمجتمع، ونوعية الممارسات التى تجرى داخلها التى يفرضها الاتجاه المتبنى

فى الإدارة، لعله يتضح معناه الآن ، فالمناخ الديمقراطى فى كل من الأسرة، والمدرسة بمواقفها التعليمية، والمجتمع ينبغي أن يسود، وبقدر ما يتحقق الاتساق بقدر ما نكون قد حققنا مناخًا صحيحًا تتفتح فيه الإمكانات الإبداعية لدى التلاميذ ، وتسمح بالنمو . أما عدم الاتساق ، فيؤدى إلى عرقلة إبداع التلاميذ ، علاوة على شعورهم بالارتباك والحيرة التى قد تصل بهم إلى شخصية ليس لها هوية تسلك فى كل مجال أو موقف وفق ما يسود فيه من مناخ، وبالأسلوب الذى يرضى صاحب الشأن فيه.

وجدير بالذكر ، أن تنمية الإبداع ينبغى أن تجرى فى مناخ عام تسوده الديمقراطية، والابتعاد عن الاتجاهات التسلطية، وأن يحترم الفرد ، وأفكاره ، وآراؤه، ويحترم الرأى الآخر، ويقبل النقد، ويشجع كل جديد وغير تقليدى ، وذلك على مستوى كل الأسرة، والمدرسة، والمجتمع، وعلاوة على ذلك ، أن يتسق ويتآلف كل ما تقدمه الأسرة ، والمدرسة ، والمؤسسات الإعلامية، والمجتمع دون أن يحدث تناقض بينها ؛ لأن ذلك يعتبر من العوامل المساعدة فى تنمية الإبداع لدى الأفراد .

المراجــــع

١ – أنيسة فخرو، مظاهر العملية الإبداعية، البحرين، المكتبة العامة، , ١٩٩٤

٢ – سيد صبحى، دراسات وبحوث فى الابتكار، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٦ .

٣ – فـؤاد أبـو حطب وآمــال صــادق، علم النفس التـربوى، القـاهرة، الأنجلو، ١٩٨٣.

4- McCormick, A., Traditional Vs. Open Classroom and Examiner study, The effect on creativity in children, J. of chigd study. Vol.8, No. 2, 1978 ..

5-Thomes, N., Effects of Environment on the Development of young children creativity, Child Development, Vol, 52, No .4, 1981.

الإبداع والهوية الثقافية

أ. د . إبراهيم عيد

إطار تصورى

يدور هذا التصور ، عن الإبداع بوصفه أعدل الأشياء قسمة بين البشر ، فالناس يولدون وهم مزودون بقدرات عقلية متميزة ، وبإمكانات تتواصل بغير انتهاء ، وبمواهب شتى ، وبخيال خصب ، بيد أن هذه القدرات ، وتلك المواهب ، وهذه الإمكانات تظل خبيئة فى داخلنا ، تحتاج لمن يخرجها من حيز الكمون إلى حيز التحقق الخلاق فى الواقع .

وتستمد هذه الفكرة مقوماتها من تصورات فلسفية ، ومعرفية ، ونفسية أيضاً، ذلك أن فكرة وجود إمكانات كامنة Potentialities فى الوجود الإنسانى قد استخدمت على أنحاء شتى، للبرهنة على أن الوجود الإنسانى ، وجود ثرى فى محتواه، فسيح فى قدراته وإمكاناته. فعند أفلاطون " العلم ذكر والجهل نسيان" ، وهذا يعنى أن الإمكانية كامنة فى الإنسان، ساكنة فى وجوده، وعليه فقط أن يتذكر ما كانت مطبوعة عليه النفس فى عالم المثل بجدل صاعد يتخلص فيه الإنسان من أسر الوجود المادى.

وقد استخدم أرسطو تصور "الإنتلخيا Entelechy" بمعنى "انتقال ما هو بالقوة إلى ما هو بالفعل" . (فريك Frick، ١٩٨٢،ص ٣٣)

وهذا الانتقال يعنى أن الوجود بالقوة ينطوى على إمكانات وقدرات كامنة ، تظل خبيئة إلى أن تتهيأ لها الظروف للبزوغ إلى الوجود بالفعل ، أى إلى مستوى التحقق فى الواقع ، غير أن معرفة التحقق الفعلى أو الوجود بالفعل تكون دوماً سابقة على

الوجود بالقوة ، " مثلما تكون معرفة شجرة الزيتون سابقة على معرفة قوة البنور على إنتاجها " (يوسف كرم ، ١٩٦٦ ، ١٧٧) .

ويؤكد أدلر عام (١٩٧٠م) ، أن ثمة قوة عظمى ، تَكْمن فى داخلنا وراء التطور الإنسانى فى سعيه نحو العلو Superiority ، والنزوع نحو الكمال ، والتكيف الفعال مع المتطلبات الكونية ، وتسمى هذه القوة العظمى بالذات المبدعة ، مؤكداً أننا لا نملك إلا قوة ، دفع نواتنا المبدعة نحو الكمال ، وهذا راجع إلى أننا لا نملك الحقيقة المطلقة، ولذلك فنحن مجبرون على التأمل فى مستقبلنا ، ونتائج أعمالنا (ص ٢١٣) .

ويؤكد روجرز (١٩٦٣م) ، أن ثمة منبعًا جوهريًا للطاقة كامن فى الوجود الإنسانى ، وأنه يمكن تحديده تصوريًا ، بأنه النزعة إلى الإنجاز ، وإلى تحقيق الذات ، وإلى استمرارية الذات وتعظيمها .

وعلى نفس المنحنى أكد ليكى Lecky (١٩٦١م): " أن فى داخلنا نزعة مهيمنة Sovereign Tendency، وأن كل الظواهر النفسية ، لا تخرج عن كونها مخططات لهذا السعى الفردى صوب الوحدة ، والإبداع وتماسك الذات" (ص ١٩٢) .

ويقول ألبرت سزينت جيورجى Albert Szent Gyoegyi (١٩٦٦م) ، وهو حائز على جائزة نوبل فى العلوم الفيزيائية ، والبيولوچية : "ثمة حافز فطرى فى المادة الحية ، من شأنه أن يدفعها نحو كمال ذاتها" (ص ١٥٧) .

وهذه الآراء المتعددة تعنى أن ، ثمة شيئًا ما فى داخلنا – سواء أطلقنا عليه "أنتلخيا " Entelechy ، أو "الذات المبدعة"، أو "التفرد" ، أو "الأنماط الأوائلية"، أو الدافع المهيمن ، أو تحقيق الذات – يدفعنا إلى تحقيق الذات ، وتوكيد الإمكانات والسعى إلى الكلية ، والتناغم الفعال مع الكون والتفرد والإبداع الذى هو القاسم المشترك فى عالم الإنسان ؛ فالإبداع فينا ، هو نحن ، هو الإنسان بما هو الإنسان ، والاختلاف ليس فى جوهر الإبداع ، ولكن فى درجته التى لا تتحقق إلا من خلال الإيمان ، بأن الإنسان إمكانية مفتوحة تنطوى على وجود إنسانى يتجلى فى ثراء نفسى ، وعقلى ممتلئ ، مفعم بالإمكانات والقدرات والمواهب .

فعند "ماسلو " Maslow (١٩٨٧) ، الطبيعة الإنسانية صرح من الطاقات الكامنة ، التى تتجه صوب النمو الإيجابى، وأن هذه الطاقات الكامنة، قاسم مشترك بين الناس جميعًا، وأنها تبدو واضحة فى إمكانية الإنسان على الإبداع، فالإبداع خاصية مشتركة ، كامنة فينا . نولد ونحن مزودون بها ، فمن الطبيعى أن تنبت الأشجار أوراقها ، وأن تحلق الطيور وأن يبدع الإنسان(*) .

فى معنى الإبداع :

وتتعدد الآراء وتختلف فى تعريف معنى الإبداع ، لدرجة يصعب معها الوصول إلى تعريف محدد لمعنى الإبداع ، وهذا مردود إلى أن الإبداع كظاهرة إنسانية - ثرى فى محتواه، متعدد فى جوانبه - إذ يرتبط به قدرات الفرد العقلية ، ودوافعه النفسية ، وسماته الانفعالية التى قد يتحدد بعضها فى التوازن الانفعالى ، والقدرة على توجيه الذات ، والإحساس بالتفرد ، والاعتداد بالنفس ، والانفتاح على الخبرة ؛ لتحقيق التواصل بين المبدع وعالمه .

ويتصف الفعل المبدع بسمات لعل من أهمها ما ذكره كل من جيلفورد ، وتورانس ، والتى يتمثل بعضها فى : المرونة ، والأصالة ، والاستمرارية ، والطلاقة ، والحساسية للمشكلات .

ويتصف المبدع بصفات عقلية وانفعالية لعل من أهمها ، الميل إلى المخاطرة ، واقتحام المجهول ، وتحمل تناقضات نفسه ، والثقة فى نفسه وفى قدراته ، وتقبله لذاته وتقديره لها بفاعلية وتوكيدية واتزان .

وفى كتابه "العقول المبدعة " Creating Minds ، وضع جاردنر (١٩٩٣) تصورًا للإبداع وتنميته يؤكد على العلاقات المتبادلة Interrelationships التى تتمثل فى العلاقة بين الطفل والمعلم ؛ والعلاقة بين الفرد وعمله ؛ والعلاقة بين الفرد والآخرين فى عالمه .

(*) It is natural that trees sprout leveas, brids fly, and human creats.

وثمة قضيتان هامتان انبعثتا عن دراسة جاردنر التحليلية لحياة فرويد ، بيكاسو Picasso، إسترافنسكى Stravinsky، أليوت ، جرهام ، غاندى . القضية الأولى تتمثل فى : دور القوى الاجتماعية ، والوجدانية التى كانت تحيط بالمبدع ، والقضية الثانية تتمثل فى ، التضحيات التى قدمها المبدع فى سبيل ما يقوم به من عمل ، يتساوى فى ذلك ما يقوم بعمل علمى أو إبداعى ، أو فنى ، أو موسيقى ، أو روائى ، أو سياسى . فكانت طرائق غاندى للتحرر والاستقلال ، تتسم بقدرة إبداعية لها طابع المفاجأة الخلاقة فى عصره .

وما كتبه رنكو (١٩٩٣م) ، وجاردنر (١٩٩٣م) ، ينتمى إلى التيار الإنسانى من علم النفس ، ذلك التيار الذى يهتم بالبحث عن الجوانب المضيئة فى صلب تكوين الإنسان ، وعن الإيجابية فى طبيعته ، وعن سعيه لاستثمار طاقاته ، وحسن توظيفها ، وعن تأصيل المعنى والقيمة والاستمرارية والتطور ؛ ليتجاوز الإنسان ما هو (كائن) لبلوغ (ما ينبغى أن يكون) . ولهذا فهم ينظرون إلى الإنسان باعتباره كائناً فى حالة من العلو والتسامى ، وأنه يستطيع أن يتجاوز ماضيه ويتجه بكل طاقاته صوب المستقبل ، ولهذا فإن الإبداع كما يتصوره أصحاب هذا التيار خاصية الإنسان ، يعيشه الناس كأسلوب حياة متدفق بالمعنى ، متجدد بتجدد الحياة .

وفى هذا يذهب ماسلو (١٩٦٢م) إلى أن إنجازات الإنسان الحضارية ، ترجع إلى قدرته الإبداعية ، وميله إلى تحقيق ذاته من خلال إنتاجه الإبداعى .

وتؤكد بعض التعريفات على أن الإبداع عملية عقلية ، تبدأ بالتعرف على المشكلة التى تستثير المبدع ، وتنتهى بتقديم الجديد ، وتختلف المشكلات باختلاف مجالاتها ، فقد تكون مشكلة سياسية ، أو معضلة اقتصادية ، أو اجتماعية ، أو علمية ، أو فنية .

وقد ترتب على التصور الذى قدمه جيلفورد للعملية الإبداعية ، فقدان الباحثين الثقة فى معامل الذكاء ، باعتبار أن معاملات الذكاء لا تعطى فكرة صادقة عن المستوى العقلى ، والوظيفى للفرد، ولا سيما ، بعد أن اتضح أن التكوين العقلى بالغ

الثراء ، وأنه ينطوى على قدرات عقلية تبلغ وفق تصور جيلفورد (١٢٠) قدرة عقلية، ومن ثم ، فمن الخطأ الركون إلى وهم اختبارات الذكاء ، لقياس القدرة العقلية عند الطفل والكبار.

وثمة فريق آخر ، من العلماء يفسر معنى الإبداع بوصفه : المحصلة الختامية لقدرات الفرد العقلية ، ودوافعه النفسية ، وسماته الشخصية ، والعوامل البيئية ، والاجتماعية ، والمادية التى ينتمى إليها ، والتى تتمثل فى ناتج إبداعى ينفصل فى وجوده عن مبدعه ، ولكنهم يختلفون فى تفسير معنى الجدة فى ضوء النسبى والمطلق ، ورغم هذا التباين فى تعريف الإبداع ، فإن العلماء يتفقون على حقيقتين هامتين لكل إنتاج إبداعى : أن يكون جديداً ، وأن يكون له قيمة .

والجدة نسبية غير مطلقة ، وإلا استحال التطور والتقدم ، تتأكد عبر إستحسانات الجماعة، فى زمن معين وضمن مواقف معينة ، ومن ثم تكون دلالة الإنتاج الإبداعى ، أى قيمته، وقيمة الشىء تعنى الكيف ، من حيث جدواه ، ودلالته ، وإسهاماته فى حياة الإنسان الفكرية ، والفنية ، أو العلمية .

ومن ثم فليس بالكم وحده يكون الإبداع .

وقد أوضح مورجان **Morgan** (١٩٥٣م) ، أن الجدة محور الإبداع ، وأشار برونر**Bruner** (١٩٦٢) إلى أن القدرة على الجدة من شأنها أن تثير الدهشة ، وبين بيرتش **Birch** (١٩٧٥) أن ثمة تباين بين الدهشة الفعالة (وهى الإبداع الأصيل) ، وبين أشكال أخرى من الجدة . وأوضح خمسة مستويات للإبداع : التلقائية **Spontaneity** وتتجلى فى إنتاج الأفكار غير المكبوتة ، والإبداع التقنى **Technical Creativity** الذى ينتهى إلى مبادئ ، أو نماذج جديدة وهو ملحوظ فى المهارة الفائقة فى استعمال اللغة ، وفى وسائل التجارة ، والإبداع المبدع **Inventive Creativity** ويظهر فيما هو معروف بأساليب جديدة ، والإبداع المجدد **Innovated Creativity** ويبدو فى توليد أفكار جديدة من معان ، أو نماذج معروفة ، والإبداع البازغ **Emergent Creativity** ، الذى ينتهى إلى مبادئ أو نماذج جديدة . وتعتبر التلقائية المبدعة ، والإبداع التقنى ظواهر يومية يمكن تدعيمها فى المدارس .

والأداء الإبداعى يتوقف على المبدع ، ولا يقوم إلا من خلاله ، بوصفه الكائن الوحيد الذى يصبو دائمًا إلى أن يكون غير ما هو عليه . ويتميز هذا الفرد المبدع بسمات انفعالية تميزه عن غيره ، ويستوجب أداؤه الإبداعى متطلبات لعل من أهمها : الانفتاح على الخبرة بغير جمود أو تعصب ، بل بتسامح وقبول الآخر والتقويم الداخلى ، حيث القدرة على النقد الذاتى . وأخيرًا القدرة على التعامل الحر مع المفاهيم ، والعناصر .

ولهذا يحدد مكلويه وكرولى McLeod & Croley (١٩٨٩م) ، أن من أهم خصائص المبدع ، قدرته على كسر الفواصل بسهولة ، وتكوين مقولات وأبنية جديدة ، معرفية مركبة ، وتوليد سريع للأفكار والتعبير عنها بطلاقة ، ويحدد دلاس وجاير Dellas & Gaire (١٩٧٠) الخصائص التالية للمبدع : المرونة ، والحساسية ، والتسامح ، والمسئولية ، والاستقلالية .

وأشار شو Show (١٩٨٩م) إلى أن أبحاث الإبداع تجاهلت دور المشاعر والعواطف فى عملية إيجاد حلول جديدة ، وفى دراسته على عينة من المهندسين والفيزيائيين المبدعين بين شو أهمية المشاعر ، والتلذذ بالعمل والثقة بالنفس ، والسعادة عند الوصول إلى نتائج ناجحة .

ويرى عبد السلام عبد الغفار (١٩٧٧م) أن الإبداع يكمن فى المنتج الإبداعى الذى يتصف بالجدة ، وهى جدة نسبية غير مطلقة ، والمغزى أى القيمة ، واستمرارية الأثر .

ويذهب إبراهيم عيد (٢٠٠٠م) إلى أن الإبداع قاسم مشترك بين الناس ، فنحن نولد مزودين بخصائص الطبيعة الإنسانية فى أسمى معانيها، حيث الخيال الخصب، والقدرات العقلية المتميزة ، والإمكانات المتواصلة بغير انتهاء، والمواهب المتنوعة ، وأن هذا الثراء الإنسانى يظل خبيئًا فى داخلنا، يحتاج لمن يخرجه من حيز الكمون إلى حيز التحقق الخلاق فى الواقع .

وهذا التحقق مشروط بنسق تعليمى متميز ، يتجاوز حدود الحفظ ، والتلقين والإتباع ، واستظهار المعلومات ، إلى الفهم ، والتأويل ، وإنتاج المعرفة ،

والإبداع ؛ وبيئة ثقافية محفزة على الإبداع ، وإمكانات اقتصادية مهيئة للإبداع ، ومساعدة على تفجير الطاقات الكامنة ، ومجتمع يشجع على الإبداع ويقيم وزنًا للموهبة ، والقدرة ، والإمكانية .

والإبداع فى صميمه تجاوز للمألوف، لما هو كائن، إلى ما ينبغى أن يكون، إنه نزوع صوب المستقبل، تشترك فى تحقيقه قدرات عقلية متميزة، وإمكانات متواصلة، ومواهب شتى، وخيال خصب وفعال وأساليب تفكير نقدية، وروح فكرية تتصف بالتسامح، وانفتاح العقل على الخبرة والحياة. ومن ثم يحتاج الإبداع إلى مناخ علمى يقوم على التسامح، حيث تعدد الآراء أمر مشروع، فلا توجد إجابة واحدة صحيحة ومطلقة، ولا أنموذج فكرى راسخ لا يمكن تغييره، ولا تفكير قطعى صارم لا بديل عنه، فكل حجة لها حجة مضادة، وكل سؤال من الممكن أن يتحول إلى إشكالية تستلزم حلولاً متعددة .

يقول برونر (١٩٩٦م) : إن العقل الإنسانى لا يستطيع أن يصل إلى إمكاناته الكامنة إلا من خلال مشاركته فى الثقافة، لا باعتبارها تمثل الفنون الأساسية ، والعلوم فحسب ، بل باعتبارها طريقًا للفهم ، والتفكير والشعور ، والعمل.

ها هنا يصبح الكشف عن منابت الهوية الثقافية ضرورة ، لفهم أن العقل لا ينشط ولا يقدم إبداعاته الخلاقة إلا من خلال ثقافة متميزة، فى عصر أصبحت فيه مشكلة "الهوية الثقافية" المحور الأساسى للأمم ، والشعوب، ولتوكيدها انفجرت صراعات عرقية ، وثقافية فى أنحاء شتى من العالم تبيد وتدمر، وتقتلع جذورًا كانت راسخة فى دول البلقان ، والصومال ، ورواندا حيث عمليات الإبادة الجماعية على نحو غير مسبوق، وظهور الحركات الفاشية الجديدة فى أوروبا.

وفى الثمانينات من القرن الماضى ، وبالتحديد فى عام ١٩٨٩م، سقط حائط برلين، وكان سقوطه بداية منبئة بأفول الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ، ودول شرق ووسط أوروبا، حيث اندلعت الثورة فى كل مكان من هذه الدول ، تنشد الحرية ،

والديمقراطية ، والفردية ، والتحول إلى الاقتصاد الحر، وبدا واضحًا أن العالم فى حاجة إلى رؤية مستقبلية ، تستهدف إيجاد حلول جديدة لمشكلات غير تقليدية ،

وصاحب انهيار الأبنية الأيديولوچية الكبرى، التى كانت تبلغ بالأيديولوچية حد المعتقد ، والمقدس، والتى كانت تملك خاصية الاحتواء ، والاستقطاب الأيدلوچى لما عداها من هويات ثقافية، بحث الشعوب عن هوية ثقافية ، وهوية عرقية ، وعن أبعاد التميز الثقافى ومحاولة تحديده.

ومن ثم انفجرت صراعات شتى فى أنحاء العالم، فى البوسنة ، والهرسك ، وكوسوفا ، ورواندا ، والشيشان وغيرها من بلدان العالم ، ففى عام واحد، وهو عام ١٩٩٣م انفجر ما يقرب من ٤٨ حربا عرقية فى العالم، ١٦٤ شكوى وصراعا عرقيا على الحدود فى الإتحاد السوفيتى السابق، كان من بينها ثلاثين حربا تضمنت شكلا من أشكال الصراع المسلح" (هنتنجتون، ١٩٩٤م ، ١٤٠) ،

وهنا بدأت الكتابات على نحو غير مسبوق ، تتعرض لموضوع الهوية، فكتب أوزيرمان وساكاموتو ، **Sakamoto & Oyserman** (١٩٩٧م) عن الولايات المتحدة باعتبارها نموذجا للمجتمع الذى يعيش فى ظل تعدد ثقافى ، وعرقى منصهر فى بوتقة واحدة، بقوله أمريكا مجتمع "متعدد الثقافات، متعدد العرقيات، بيد أنه مجتمع واحد" وهذا سر تقدمه وإبداعه. (ص ٤٣٥)

ويحذر فيلبس جيرى **Jerry** (١٩٩٧م) فى كتابه "مصير الأرض **" The fate of the earth"** ، من وهم التمسك بالهوية الثقافية، مؤكدا على أن "مصير الأرض مرتبط بتجاوز وهم الهوية الثقافية" (ص ١٨).

ويؤكد بيرجر وآخرون "أن الهوية الحديثة منفتحة وعابرة ، ومتغيرة على الدوام" (ص ٣٤)، وهذا لا يعنى أن انفجار الصراعات الثقافية كان شيئًا "غائبًا " ؛ بل كان كامنًا ومتحفزًا للانطلاق، ولعل هذا ما يفسر هذه الصراعات المتفجرة فى أنحاء شتى من العالم.

حيث انفجرت صراعات ثقافية ، وعرقية كانت مؤجلة بحكم تلك التسويات الكبرى التى صاحبت انتهاء الحرب العالمية الثانية ، والأولى أيضاً.

وفى التسعينات من هذا القرن ظهر كتابان: الأول "نهاية التاريخ وخاتم البشر "The End of The History, and The Last Man"، ومؤلفه فرانسيس فوكوياما (١٩٩٢م)، والثانى "صدام الحضارات" The Crash of Civilizations ومؤلفه هنتنجتون (١٩٩٤م).

والكتابان دعوة صريحة ، للقضاء على الهويات الثقافية المباينة للهوية الثقافية الغربية.

يقول فوكوياما فى مفتتح كتابه ملخصًا رؤيته فى هذا الكتاب " ، ثمة إجماع بدا واضحًا فى السنوات القليلة الماضية، فى العالم بأسره حول شرعية الديمقراطية الليبرالية، بعد أن لحقت الهزيمة بالأيدلوچيات المنافسة، مثل الملكية الوراثية، والفاشية والشيوعية، غير أنى أضيف إلى ذلك قولى: إن الديمقراطية الليبرالية قد تشكل "نقطة النهاية فى التطور الأيدلوچى للإنسانية" ، و"الصورة النهائية لنظام الحكم البشرى"، ومن ثم فهى تمثل "نهاية التاريخ" (ص ٨).

ويستند فوكوياما فى رؤيته على تصورات هيجلية ، مؤداها أن الدولة الليبرالية هى نهاية التاريخ، وذلك مردود إلى سببين: **الأول** يتصل بالاقتصاد، **والثانى** يتصل بالصراع من أجل نيل التقدير ، والاحترام .

وتمضى هذه الرؤية فى تعصبها وجمودها القطعى، مصنفة شعوب العالم إلى صنفين: السادة والعبيد، السادة هم الغرب، أما العبيد فهم باقى شعوب الدنيا، وإن "أرض الميعاد" هى الديمقراطية الغربية، وإن خاتم البشر هو الإنسان الغربى.

أما رؤية هنتنجتون (١٩٩٦م)، فتقوم على أن الثقافة والهويات الثقافية التى هى على المستوى العام هويات حضارية، هى التى تشكل أنماط التمسك ، والتفسخ فى عالم ما بعد الحرب الباردة" (ص ٣٧٢).

وتاريخ الصـراعـات عنده بدأ بين الملوك الأباطرة، ثم بين الشـعـوب، ثم بين الأيدلوجيات فى الحرب الباردة، والآن هو صدام بين حضارات ، وثقافات وأن الغلبة ستكون حتمًا للثقافة الغربية.

ويستند هنتنجتون فى رؤيته على تصورات ، مستمدة من كتابات هافيل Havel (١٩٩٤م)، وديلورز Delors (١٩٩٣)، وشبنجلر. يقول هافيل "إن الصراعات الثقافية تتزايد الآن على نحو غير مسبوق" (ص ٢٧)، ويقول ديلور "إن الصراعات المستقبلية سوف تشكلها عوامل ثقافية أكثر منها أيدلوجية ، أو اقتصادية" (ص ٢).

أما شبنجلر فيقول: "للحضارة نهر واحد، هو حضارتنا، وعلى الآخرين إما أن يكونوا روافد لهذا النهر، أو يضيعوا فى رمال الصحراء" (ص ٥٥).

وتصورات هنتنجتون وما تستند إليه من آراء تحض على العدوان ، وتدعو إلى الصدام بين الحضارات وبين الثقافات، غافلة عن أن التفاعل بين التمايزات الثقافية، وليس "الصراع" هو الذى يقدم إبداعًا ينطوى على حلول جديدة، لمواجهة مشكلات عالمية غير تقليدية، فلكل مجتمع هويته الثقافية، وإرثه الحضارى الفريد الذى لا يذوب أو يتلاشى بتلاشى المسافات بين الأمم، وأن للثقافة جاذبيتها القطبية التى تجمع بين الأمم. فما مزقته الأيدلوجيات جمعته الثقافة كما حدث فى الألمانيتين، الذى كان انهيار حائط الفصل بينهما بدء تاريخ جديد فى عالم الإنسان.

والشعوب فى سعيها لتحديد معنى لهويتها الثقافية، إنما تعى ذاتها، وتعى تفردها، مدركة أن التباين فى الهويات الثقافية هو الذى يتيح ثراءً فى المحتوى الثقافى العالمى، وأن هذا التباين يستلزم قدرًا كبيرًا من التسامح ، للالتقاء والحوار بين الأمم ، والشعوب.

ومن العرض السابق تثور عدة أسئلة:

- هل انفجار صراعات الهوية الثقافية ، راجع إلى الخوف من طبيعة العصر الحالى؟
- وهل الهويات الثقافية مكونات راسخة تستعصى على الانصهار فى بوتقة عالمية واحدة ، ذات توجه كوكبى منفرد؟
- وهل القول بهوية ثقافية عالمية احتوائية ضد طبيعة الإنسان ككائن متفرد ومباين، وأن تفرده وتباينه هما سر تقدمه، وأن تقدمه قائم على حوار التباينات الثقافية وليس الصدام بينها؟

● وهل ما مزقته الأيديولوجية، تجمعه اليوم الهوية الثقافية، وما استقطبته الأيديولوجية ، تمزقه الآن الثقافة كما هو الحال في "الألمانيتين"، ودول الاتحاد السوفيتي السابق؟

● وهل التطور والتفجر المعرفي المتواصل ، والذي يتجاوز كل قدرة على التنبؤ بما هو قادم، يلزم عنه تطوراً موازياً في هويات الأمم والشعوب، أو كما يقول نوفلر (١٩٧٤م) : حينما تتغير الأشياء من حولك ف، إن تغيراً موازياً يحدث في داخلك" (ص ٣٦).

ولعل في تحديد معنى الهوية، ومعنى الثقافة ما قد يساعد على الإجابة عن هذه التساؤلات.

أولا : الهوية Identity:

الهوية مفهوم له دلالته اللغوية، واستخداماته الفلسفية ، والاجتماعية ، والنفسية ، والثقافية، فقد استخدم هذا المفهوم على أنحاء شتى ، للتدليل على الهوية الفردية، وهوية الأنا، والهوية الجماعية، والهوية العرقية ، والهوية الثقافية .

ولفظ الهوية مشتق من أصل لاتيني، ويعني أن الشيء نفسه Sameness أو الشيء الذي هو ما هو عليه، على نحو يجعله مباينا لما يمكن أن يكون عليه شيء آخر.

واشتقاقات لفظ الهوية في اللغة الإنجليزية توضح إلى حد كبير ما ينطوي عليه " لفظ " Identity من معان، فكلمة identical "التماثل" تعني - كما يقول دريفر في معجمه : "نفس الشيء أو المشابه من كل النواحي" (ص ٢٧).

وعلى أية حال، فإن هوية الشيء تعني ماهيته essence، أي جوهره ، ولبابه الذي يعبر عن حقيقته في كل متفرد لا إشراك فيه.

وعلى المستوى النفسي، يرجع الفضل إلى أريك أريكسون (١٩٥٠م ، ١٩٦٧م) في شيوع استخدام هذا المصطلح على نحو نفسي ، بوصفه "هوية أو ذاتية الفرد ، بحيث يكون للمرء باستمرار كيان متميز عن الآخرين" (ص ٣٨).

وقد طور أريكسون هذا المفهوم، وجعله مفهومًا مركزيًا فى تصوراته النفسية، فتحدث عن هوية الأنا ego identity وعرفه بأنها "ذلك الشعور بالهوية الذى يهيئ القدرة على تجربة ذات المرء كشىء له استمراريته، وكونه هو هو نفس الشىء، ثم التصرف تبعا لذلك" (ص ٣٩).

فى مفتتح كتاب "الهوية والقلق" يبين اشتين وفيدش، Stein & Vidich (١٩٦٠) "أن كتابات فرانز كافكا، وجيمس جويس Joyce، وصمويل بيكيت Beckett، وسارتر وغيرهم كثيرون، كانت فى صميمها عن تحديد هوية للإنسان، وعن موقع متسام له فى صميم العالم" (ص ٢٥).

والمتأمل لكتابات هؤلاء الأدباء، والمفكرين، والفلاسفة، يتبين بوضوح أن أفكارهم كانت تدور حول البحث عن كينونة، وهوية متفردة للإنسان، فى عصر هيمنت عليه أفكار قطعية، ومذاهب فلسفية، وأيدلوجيات كبرى حولت جميعا الإنسان إلى كائن، لا وزن له ولا معنى لوجوده، إلى "موجود فى ذاته" كما يقول سارتر : لا حول، ولا معنى ولا هوية، حقيقية له.

وعلى نحو انطولوجي، يتخذ فروم Fromm من الهوية تصورا لتفسير مسيرة الإنسان الحضارية، فيعرف الإنسان بوصفه "الحيوان الذى يستطيع أن يقول "أنا"، والذى يستطيع أن يكون واعيا بذاته ككيان منفصل Entity عن الطبيعة، فالحيوان موجود داخل الطبيعة لا يتجاوزها، فليس له وعى بذاته، وليست به حاجة إلى الإحساس بهويته، أما الإنسان فهو مجاوز للطبيعة، وهذا التجاوز مردود إلى تمتعه بالوعى، والعقل، والخيال، ومن ثم فهو فى حاجة لتكوين مفهوم عن ذاته، وبحاجة إلى أن يشعر وأن يقول "انا أكون أنا"، ولأنه فقد وحدته الأولية Original unity مع الطبيعة، كان عليه أن يتخذ القرارات، وأن يعى ذاته كشىء مباين عن الآخر، وأن يكون قادرا على الإحساس بذاته كموضوع لأفعاله" (ص ٦٢).

ويفرق بين الوجود الحيوانى، والوجود الإنسانى، من خلال الإحساس بالهوية فيقول: "إن الوجود الحيوانى قائم على "التناغم" Harmony مع الطبيعة، فى حين أن الوجود الإنسانى قائم على التنافر مع الطبيعة، الأمر الذى يفقده الانسجام الذى

يتصف به الوجود الحيوانى" (ص ٣٦) ، وعنده الحاجة إلى الهوية، ترتبط بالحاجة إلى الانتماء relatedness ، والتجذر rootedness ، والتسامى transcendence كالحاجة إلى الإحساس بالهوية، حيويةً ، وملازمة للإنسان.

ويؤكد أن إحساس الإنسان بهويته ينمو منذ خروجه من فلك "الروابط الأولية" التى تربطه بأمه وبالطبيعة، فالطفل الذى لا يزال يشعر بتوحده مع أمه، لا يستطيع إطلاقا أن يقول : "أنا" فليس به حاجة إلى أن يقول ذلك، وهو لا يستطيع أن يعى ذاته، إلا بعد أن يعى أن العالم الخارجى منفصل ومختلف عنه، ومن الكلمات التى يتعلم الطفل استعمالها متأخرًا كلمة "أنا" مشيرًا إلى نفسه.

ويؤكد فروم أن "مشكلة الإحساس بالهوية تنبثق من ظروف الوجود الإنسانى نفسه، وهى مصدر أقوى وأعمق ما يبذله الإنسان ، من نضال فى حياته" (ص ٦٤).

ورغم شيوع استخدام مفهوم الهوية وفقا لتصورات أريكسون عنه فى الدراسات النفسية، إلا أن حقبة الثمانينات ، ولا سيما بعد سقوط حائط برلين ١٩٨٩م، قد شهدت تطورًا فى استخدام مفهوم الهوية ، بربطها بالتصورات العرقية ، والسلالية ، والقومية والثقافية، لدرجة تقلصت معها الدراسات التى تتخذ من مفاهيم أريكسون موضوعا لها عن هوية الأنا، وعدم تعيين الهوية، وأزمات الهوية وانغلاقها، وتعلقيها اجتماعيًا ونفسيًا.

ودليل ذلك أن برنامجًا على الإنترنت (Psyclit) قد عرض ١٠٤٣ دراسة فى سنتى (٩٦ – ١٩٩٨م) عن الهوية الثقافية، الهوية العرقية، والمجتمعات المتعددة الهويات ، والثقافات ...الخ. ولم يعرض لدراسة واحدة عن هوية الأنا ، أو أزمات الهوية على النحو الفردى.

وهذه الكثرة من البحوث دليل على تجاوز الباحثين لمفهوم الهوية بالمعنى الفردى، وإلى الهوية بالمعنى القومى والثقافى ، ذلك الذى يمثل القاسم المشترك ، أو الرمز الذى يلتف حوله جماهير الأمة أو الشعب، فى كل لا اشتراك فيه، مباين لغيره من الأمم والشعوب، فى عصر تهيمن عليه مفاهيم الكوكبية ، والكونية ، والدعوة إلى انصهار الهويات الإقليمية فى هوية عالمية واحدة.

والهوية بالمعنى القومى أو الثقافى، لا يولد الإنسان وهو مزود به، بل يكتسبها ولهذا يعرف بسام طيبى الهوية بأنها: "مفهوم اجتماعى نفسى يشير إلى كيفية إدراك شعب ما لذاته، وكيفية تمايزه عن الآخرين، وهى تستند إلى مسلمات ثقافية عامة، مرتبطة تاريخيا بقيمة اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية لمجتمع".

ثانياً : الثقافة Culture:

الثقافة من أكثر الكلمات استخداما، ومن أشدها غموضا، وقد يرجع هذا الغموض إلى تعدد معانى الثقافة ، وتباينها فى كثير من الأحيان .

بيد أن الأمر الذى لا ريب فيه ، أن لكل مجتمع ثقافة تميزه ، وتبلور معتقداته ، وقيمه ، ومبادئه ، وعلاقاته الاجتماعية ، وأنماط سلوكه وتحيزاته الأيديولوجية ،

وقد تتشابه بعض المجتمعات فى بعض أشكال الثقافة ، وأنماط السلوك غير أنها تتباين عند فحص الخصوصيات ، المميزة لهذه الثقافة ،

ولعل فى الكشف عن منابت كلمة "ثقافة" فى استخداماتها اللغوية، ما يعين على استجلاء القصد منها، فكلمة "ثقافة" من ثَقُفَ ثَقْفًا، بمعنى صار حاذقا فطنا. أما ثَقَّف الشيء، فمعناه أقام المعوج منه وسواه، وثقف الإنسان، أدبه ، وهذبه ، وعلمه، ومن ثم فإن الثقافة هى العلوم ، والمعارف ، والفنون التى يطلب الحذق فيها، واشتقت كلمة Cultura اللاتينية ومشتقاتها فى اللغات الأوربية الحديثة من الفعل اللاتينى Colo era ui cultum ، وهى تعنى فى الأصل الفلاحة Agriculture ، والعبادة cults.

وهذان المعنيان من أصل كلمة ثقافة ، ليسا متناقضين أو متباعدين، بل هما فى الواقع يمثلان الركنين الأساسيين لمعنى الثقافة، ففلاحة الأرض تعنى العناية بها، وتهذيب تربتها، وتشذيب أشجارها ، ورعاية براعمها، وعلى الجانب الآخر تنهض الثقافة بمهمة صقل العقل، وتهذيب النفس ، وتنمية الأخلاق ، والتنوير، وشحذ الطاقات الخالقة على الإبداع". وذلك هو المعنى الوارد فى معجم فيبستير Webster، ١٩٦٥ (ص ٢٠٢).

وتتضمن الثقافة سواء فى أصولها اللغوية العربية ، وفى اللغات الأخرى ، مجموعة من القيم، يتمثل بعضها فى الإيمان، والطهارة، والجمال، والفطنة ، والتقدم، والإتقان، فبدون هذه القيم لا يمكن للإنسان أن يفلح فى زراعة الأرض ، أو العبادة بشعائرها وأماكنها.

ومن هذه الاشتقاقات اللغوية، تقف الثقافة عند المستوى الرفيع من التكوين الإنسانى، من حيث هى صقل للذهن ، وتهذيب للسلوك ، وتنمية أخلاقية وروحية له، أو بأنها ما ينتجه العقل ، أو الخيال الإنسانى، وتكون وظيفتها إعداد ، وتهذيب ، وصقل للروح والعقل معًا ،

وهذا المعنى من معانى الثقافة، يتصف به الآحاد من الناس الذين يمثلون النخبة الممتازة، أو القاطرة التى عليها أن تجر باقى العربات إلى أقصى حد، سموا بالتكوين العقلى ، والروحى ، والأخلاقى للإنسان، ذلك الذى يتمثل فى إبداعاته الخلاقة، وإشراقاته الروحية ، وصروحه العلمية التفسيرية ،

وتظل هذه الجوانب المضيئة قائمة بشخوص مبدعيها، مرتبطة بهم ارتباطًا عضويا بغير افتراق.

والوجه الآخر للثقافة يتمثل فى الجانب الاجتماعى، والذى يتضح فى تعريف تيلور Taylor (١٨٧٠)، وهو تعريف شائع على المستوى الاجتماعى، وينص على أن الثقافة "ذلك الكل المركب الذى يتضمن المعرفة ، والاعتقاد ، والفن ، والقانون ، والأخلاق ، والعرف وأية قدرات أ، و عادات يكتسبها الفرد بوصفه عضواً فى المجتمع" (٤٦).

وعلى هذا المنحى قدم بيرستد تعريفه للثقافة ، باعتبارها "ذلك الكل المركب الذى يتألف من كل ما نفكر فيه، أو ننهض بعمله ، أو نملكه كأعضاء فى المجتمع" (٢٥).

وعلى نحو أكثر توضيحًا لعناصر الثقافة فى تكوين الأمة، يرى (جوكالب) أن العنصر الرابط فى كل أمة هو الدين، ومن جهة أخرى فإن العناصر الموحدة للأمة هى اللغة ، والأخلاق ، والقوانين ، والمؤسسات الاقتصادية ، والعلوم ، والفلسفة ، والتكنولوجية، وهذه المجالات فى كل أمة لابد وأن تكون متسقة وموحدة، وكلها يطلق عليها لفظ ثقافة (ص ٢٢٢ – ٢٢٤).

ويركز جوكالب على اللغة بوصفها جوهر الحياة الاجتماعية فى جميع أنحائها، شأنها فى ذلك شأن الدين ، والأخلاق ، والسياسة ، والاقتصاد ، والعلم ، والفنون الجميلة ،

وبالرغم من عمومية تعريف جوكالب للثقافة ، وما تنطوى عليه من عناصر، إلا أنه أغفل الثوابت الجغرافية ، والمتغيرات التاريخية التى فى تفاعلها مع المكان تمثل بوتقة الانصهار، لكافة عناصر الثقافة الأخرى فى تميز فريد لا إشراك فيه.

ويقترب من هذه التعريفات تعريف معجم اكسفورد (١٩٨٢م) للثقافة ، بأنها "الاتجاهات ، والقيم السائدة فى مجتمع معين، كما تنعكس فى الرموز اللغوية ، والأساطير، وأساليب الحياة ، ومؤسسات المجتمع التعليمية ، والدينية ، والسياسية" (ص ٢٣١) ،

وهذا الجانب الاجتماعى من الثقافة، يمثل نقطة البدء فى حياة الإنسان الواعية، والتى يكتسبها الإنسان بماتنطوى عليه من قيم ، وأساليب حياة ، ولغة ، ورموز ، وعادات وعرف، بفضل وجوده داخل المجتمع، بفعل التنشئة الاجتماعية والتعلم.

وينعكس هذا الكل المركب من المكونات الفريدة ، لثقافة المجتمع فى سلوكه، وفى حركته ، ووجوده ، وتحيزاته الأيديولوجية ، وعلاقاته الاجتماعية.

الثقافة – إذن – هى ذلك الائتلاف الفريد ، من كل ما هو روحى سام مجاوز للواقع، ومن كل ما هو مادى لصيق بالأرض ، وبمعترك الحياة.

الثقافة هى اللغة ، بوصفها وجدانا يعبر عن مشاعر ، وآمال رؤى شعب، وبوصفها أداة للتفكير والتواصل.

الثقافة هى الكلمة Logos وبالكلمة أصبح الإنسان إنسانا، والثقافة ثقافة! الثقافة هى تلك المكونات الفريدة ، التى تميز شعبا وأمة عن غيرها من الأمم ، الثقافة كائن حى اجتماعى تام ومتطور، لا يعرف الجمود، ولا يحيا بغير سند من "موروثات تراكمت عبر العصور"، متمتعاً بتلك القابلية للتطور ، والنماء مع حركة وإيقاع العصر ولا سيما للشعوب التى تتسم بالحيوية ، والدينامية، والعراقة التاريخية.

الثقافة نواة الشخصية بالنسبة للفرد والأمة، فهى التى تحرك الإنسان فى الحقل ، وفى المصنع ، والمدرسة ، والجامعة ، والمسجد ، والكنيسة، وهى التى تتحكم فى حركة الحياة فى الشارع والأسواق، بتقدم الثقافة تستقيم الحياة على المستوى الاجتماعى ، والاقتصادى ، والسياسى، وبالتعمق الثقافى ترقى الآداب ، والفنون ، والعلوم ، والذوق العام.

الثقافة أرض ووطن وكيان له "ثوابته الجغرافية"، و "متغيراته التاريخية".

ومن جماع ما سبق نستخلص بعض الأسس التى يمكن أن يستند إليها تعريف "الهوية الثقافية ".

أولاً: إن تعريفات الهوية والثقافة، سواء فى أصولهما اللغوية ، أم المعجمية تكاد تكون نقطة التقاء بين الشرق ، والغرب.

ثانيًا: إن الهوية هى ماهية الشىء **essence** ، أى جوهره الذى يعبر عن حقيقته فى كل منفرد لا إشراك فيه.

ثالثًا: إن هوية الشىء تتحدد بالصفة التى تنعت عليه، بحيث تصبح الصفة والموصوف كلا واحداً، يدل معناه عن شىء كلى، يميزه عن غيره من الأكلال.

رابعًا: ومن جماع (٢، ٣) فإن الهوية تعنى مجموعة الصفات الجوهرية والثابتة فى الأشياء والأحياء، فللمكان هويته الخاصة، كما للإنسان هويته المتفردة عن غيره من الناس، ومن ثم فإن الثوابت الجغرافية، والمتغيرات التاريخية، والموروثات الثقافية، عناصر مكونة للهوية.

خامسًا: إن الهوية الثقافية هى الرمز أو القاسم المشترك، أو النمط الراسخ **Ster-eotype** الذى يميز فرداً أو مجموعة من الأفراد ، أو شعبا من الشعوب عن غيره.

سادسًا : إن الهوية الثقافية "نسبية غير مطلقة"، قائمة فى الزمان، غير خارجة عن نسيجه "، ذلك أن الزمان شىء نادر يمكن استثماره، وقد تتصف الهوية بالجمود، وقد تتصف بالحيوية والقدرة على التعايش مع متطلبات العصر ومتغيراته.

ونسبية الثقافة هى التى تجعلها بيئة محفزة على الإبداع، قادرة على التجاوز، والعلو فوق ذاتها على طريق التقدم والإبداع .

ويمكن تحديد بعض جوانب الثراء فى الهوية الثقافية المصرية بأنها : هوية ثقافية تتسم بحيوية دافقة، ووحدة عضوية لا شتات فيها، قديمة وغائرة فى عمق الزمان، شكلتها ثوابت جغرافية ثرية التنوع، و (متغيرات تاريخية) الرجوع إليه يتيح فهمًا أعمق للمستقبل، و (تراث مركب) تسيطر عليه قوى الاعتقاد، وديناميـة فى التفاعل بغير جمود أو انغلاق، وتجانس فى البشر متواصل بتواصل حلقات الزمان، ووسطية فى السلوك تترجم معانى التسامح رغم التباين فى الأعراق ، والأنساب ، والمعتقدات، فإنسان القيم ، والعادات ، والتقاليد ظلت راسخة رغم تعدد الغزوات ورغم التحول من دين إلى آخر، ورغم تغير اللغة من هيروغليفية إلى قبطية إلى عربية.

وتمثل الهوية الثقافية المصرية قطبًا له جاذبيته، سواء فى العصور القديمة، أم فى عصرنا الحالى .

وهذه الجاذبية القطبية هى التى منحت مصر قيمة الدور التاريخى عبر عصورها القديمة والحاضرة أيضًا فكانت - ومازالت - محركة للأحداث ومركزًا للعلم والحضارة، يؤثر فى الأمم من حوله، ومطمعًا للغزاة من الشمال ، والجنوب ، والشرق ، والغرب، بيد أنها كانت ومازالت - تملك خاصية الاحتواء ، والامتصاص ، والتمصير Egyptianizing لدرجة بلغ الولع بهذه الثقافة حد الهوس Egyptomania. كما يقول (برنال) الذى يوضح فى كتابه (أثينا السوداء) :

وقد أقامت مصر حضارتها ، وبلورة هويتها الثقافية من خلال قدرتها المبدعة على الاستجابة ، لتحدى نهر عظيم كنهر النيل ، يحتاج إلى ترويض ، لخدمة الحضارة والإنسان.

ويصور تيوينبى Toynbee هذه الاستجابة المبدعة لتحدى النهر بقوله : إن الاستجابة الخلاقة للتحدى ، هى فقط تنبت الحضارات والمدنيات، وقد كانت الاستجابة الجماعية لتحدى نهر عظيم مثل النيل ، هى التى خلقت المجتمع ومصر

الحضارة ، وهذا راجع إلى أن نوعية التفاعل بين البشر وقوى الطبيعة، وليس قوى الطبيعة وحدها هى التى ينبثق عنها المجتمع والحضارة، ولو كان النيل هو المسئول الوحيد عن صنع مصر وحضارتها ، لكان قد صنع حضارات أخرى مشابهة على امتداده الطويل، ولكن هذا لم يحدث.

وتلك حقيقة فالتحديات الكبرى، هى التى تصنع الشعوب العظيمة – إذ يتحول المستحيل – بالوعى ، والإرادة ، والعلم ، والبيئة الإبداعية – إلى ممكن ومتاح ،

ونحن نعيش تحديات كبرى ، تحديات اقتصادية ، واجتماعية ، وعلمية ، وتكنولوجية ، وثقافية وتنموية .

وكل هذه التحديات تحتاج إلى حلول إبداعية، إلى حلول غير تقليدية لأنها مشكلات غير تقليدية، فى عالم تجاوز التقدم العلمى ، والتكنولوجى كل قدرة على التنبؤ فى عالم تهيمن عليه مفاهيم الكوكبية ، والاعتماد المتبادل بين الأمم ، والشعوب ، والإبداع لمن أراد الموقع المتميز فى العالم، فالإبداع قوة، والإبداع قوة مالية واقتصادية أيضاً .

هذه هى ثقافتنا، فلماذا لا نتخذ منها أساساً للانطلاق إلى عالم الغد؟

فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى معظم الدول الأوروبية ينفق رجال الأعمال والمؤسسات التجارية ، والبنوك على التعليم ، وعلى مراكز البحث العلمى ، وعلى المشاريع العلمية المختلفة فى كافة جوانب المعرفة الإنسانية ،

ورغم أن التعليم فى هذه الدول مرتفع التكلفة ، فإن البنوك ، والشركات تعطى طلاب العلم منحاً دراسية، للإنفاق على تعليمهم ، ويتم استردادها عند تخرجهم من الجامعة، وفى كثير من الأحيان تسقط البنوك هذه المديونية عن طلاب العلم.

إن انتماء رجال العمال ، والشركات ، والمؤسسات لبلادهم كبير وعميق ، فهم ينفقون على العلم ، والمراكز البحثية وعلى المشروعات العلمية فى كافة الجوانب .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن :

لماذا بعض رجال الأعمال فى مصر يقترضون من البنوك، ويحولون هذه القروض إلى مشروعات ، ويستثمرون ويربحون ، ولكنهم لا يعطون أى شيء ؟.

لقد منحت الدولة لرجال الأعمال من التسهيلات ، ما لم تمنحه أمة لأبنائها ، كى يستثمروا ويحققوا النقلة الاقتصادية على طريق الاقتصاد الحر، وآليات السوق ،

ولكن الغريب أن البعض منهم ، يقترض ليودع ما اقترضه فى بنوك أخرى غير مصرية ويستثمر أموالاً ليست أمواله، فى بلدان غير بلده ،

وتلك أزمات ضمير أخلاقى ، وقومى ، لا توفر بيئة صالحة للإبداع.

ثم إن الإبداع يحتاج إلى انقلاب فى العملية التعليمية، وهذا الانقلاب التعليمى لا يمكن أن يتحقق إلا إذا أدركنا أننا فى خطر.

وفى إسرائيل يحلون إشكاليات الهوية وتناقضات المجتمع الإسرائيلى ، والإحساس العارم بالخوف ، وفقدان الأمن ومن ثم ضراوة العدوان ، والغطرسة ، والمبالغة عن طريق التركيز على ميكانيزم الخطر ، أو كما يقول Eliezer Schwever، أن الحل يكمن فى :

١ - التركيز على ميكانيزم الخطر: فهو الميكانيزم الوحيد الموحد لليهود، برغم كل تبايناتهم، فإسرائيل محاطة بسياج من ثقافات مضادة ومتحفزة لها، ومن ثم ضرورة شحن الناس بالخوف مما يحيط بإسرائيل، وبالمستقبل بالرجوع إلى آلام الماضى حيث التذكير المستمر بالهلوكوست holocust (المحرقة أو الإبادة النازية)، وبالدياسبوره Diaspora (الشتات اليهودى الذى وقع فى العصر البابلى)، وأن ذلك يمكن أن يحدث لإسرائيل الآن وفى عواصم شتى من العالم كباريس ، ولندن ، ونيويورك.

٢ - التركيز على الاحتفالات الرسمية ، كيوم الاستقلال ، وتحرير القدس ، وإحياء ذكرى الدياسبوره والهولوكوست.

٣ - الحفاظ على اللغة العبرية ، بوصفها بوتقة الانصهار القومى ، والوجودى للشعب اليهودى ، وأنها اللغة الرسمية للدولة الإسرائيلية.

٤ – تعهد الدولة بالحفاظ على المطالب والاحتياجات الدينية ، باعتبار الدين هو المقوم الأساسى للهوية العبرية، وذلك بالحفاظ على المؤسسات الدينية ، والتوسع فى إنشاء المعابد اليهودية.

ومصر اليوم تعيش تحديات جمة : التحدى الديمقراطى ، وتحدي السلام الذى لا يمكن أن يتحقق ، وعقل إسرائيل مكبل بأغلال تراجيديات تاريخية ، وأقوال أسطورية.

والسلام لا يمكن أن يتحقق عن طريق فرض أوضاع معينة بالقوة على الآخرين، والأمن لا يمكن تحقيقه إلا بوضوح الأهداف ، ومرونة الوسائل.

ثم هناك التحديات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية، وهذه التحديات من شأنها أن تجمع الأمة حول حلم مشترك، حول أرضية وطنية انتمائية مشتركة، حول قاسم مشترك نساهم فيه جميعاً ، ونحن واعون بأن الخطر متربص بنا، وأن الخطر القادم لا يستثنى أحداً، وأن الكيانات الصغرى ، والهويات الثقافية الضعيفة ، لم يعد فى عمرها الافتراضى بقية، وأن الإبداع هو الحل، وأنه قوة ، وثروة ، ووجود .

المراجـــع

١ – إبراهيم عيد (٢٠٠٠) : **الموهبة والإبداع**، القاهرة: دار المعارف، سلسلة إقرأ، العدد (٦٥٩).

٢ – أرجون أوزبوبون (١٩٩٢): من الهوية الدينية إلى الهوية العلمانية القومية. فى: الهوية الثقافية فى الزمان، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٣– ألفين توفلر (١٩٧٤): **صدمة المستقبل**، ترجمة: محمد على ناصف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

٤ – بسام طيبى (١٩٩٢): الهوية والرؤية العالمية فى عالم متغير. فى: مراد وهبة (١٩٩٢)، **الهوية الثقافية فى الزمان**. مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٥ – عبد السلام عبد الغفار (١٩٨٢): **الابتكار والتفوق العقلى**، دار النهضة العربية، القاهرة.

٦– مارتن برنال (١٩٩٧): **أثينا السوداء** (جـ ١)، تحرير أحمد عثمان، وترجمة : لطفى عبدالوهاب وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

٧– يوسف كرم (١٩٦٦): **تاريخ الفلسفة اليونانية** ، (ط٥)، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر والتوزيع.

8 - Adler, A. (1970) .**The pattern of life**. New York: Holt, Rinehart &Winston.

9 - -Berger P., Berger, B., Kellner, H., (1974) The Homeless Mind. harmondsworth, Penguin Books.

10 - Bruner, J.S. (1962) The conditions of creativity. In H. Gruber. G. Terrell &M. Wertheimer (Eds.), **Contemporary approaches to creative thinking** .PP:1-30. New York: Atherton.

11- -Bruner, J.S. (1962) **The cultur of education**, U.S.A. harvrd University, Press. PP:1-30.

12 - -Dellas, H., & Gaire, E.L. (1970) .Identification of creativity. **Psycological Bulletin**, 73. 55 - 73 .

13 - -Delors J. (1993) Questions concerning European Security, **International** Institute for **Strategic Studies, Burssels** (10) :Sep., P. 2.

14 - -Dolores, T., & Alberto G. (1998) :Communication and identity across cultures. **International and Intercultural Communications Annual**, Vol. 21, p. 240 - 250 .

15 - -Drever, J.(1968) : **A Dictionary of Psychology**. Penguin Books.

16 - -Erikson, E.(1969) : **Identity: Youth And Crisis**. New York, W.W. Norton.

17- -Erikson, E.(1950): **Childhood And Society**, New York, Norton.

18 - -Fromm, E. (1969) :**The Sane Society**. New York, Avon Books.

19 - -Fromm, E.(1971) **Escape From Freedom**, New York, Avon Books.

20 - -Fukuyama, F. (1992) :**The End of The History And The Last Man**. New York. U.S.A

21- -Havel, V. (1994) :The new measure of man. New York Times, 8 July, P.27.

22 - -Huntington, S. (1996) :**The Clash of Civilizations And The Remaking of World Order**. Simon & Schuster Rockefeller Centre, New York, U.S.A.

23 - Jerry, P. (1997) : The Fate of the Earth: "each and all" or nothing? Literature -and - **Psychology. Vol.**

24 - Oyserman, D., &Sakamoto, I. :(1997) Being Asian American: Identity. Cultural constructs, and stereotype perception, Journal of Applied. **Behavioral Science**, Dec.; Vol. 33(4); 435 - 453 .

25 - -Preston, P. (1997) :**Political, cultural identity: Citizens and nations in a global era,** London, England, U.K.: Sage Publications.

26 - -Schweid, E. (1998) :Judaism in Israeli culture in: Urian D.; and Karsh E.: **Israel Affairs,** Vol.4 (3 & 4), Spring, (pp. 9 - 28). A Frank Cass Journal, Israel.

- 27 - Stein, M., Vidich, :(1962) **Identity And Anxiety,** The Free Press of Glencoe, U.S.A.

- 28 - Taylor, J. (:1871) **Primative culture.** London, John Murriecay London.

- 29 - Toynbee, A.(1965) : **Between Niger and Nile.** New York Oxford University, Press.

- 30 - Frick, W.B. (1982) : Conceptual foundation of self actualization. **Journal of Humanistic Psychology** . 22,33 - 52 .

31 - -Gardner, H. (1983) **Frames of mind: The theory of multiple intelligences**. New York: Basic Books.

32 - -Guiltord, J. P. : (1950) : Creativity. **Amercan Psychologist**. 5. PP. 444: 454 .

33 - Lecky, P. (1961) Self-consistency. A theory of personality. New York: Holt, Rinehart &Winston.

34 -Maslow, A. H. (1962) **Toward a psychology of being**. New York: Van Nostrand.

35 - -Maslow, A. H. (1987) **Motivation and personality**. 3rd ed.) New York: Harper and Row.

36 - -Mc Leod, J., &Croley, A, J. (1989) **Fostering academic excellence**. Oxford: Pergamon.

37 - -Morgan, D. N. (1953) Creativity today. **Journal of Aesthetics**, 12,1- 24

38 - -Rogers, C. (1951)Toward a theory of creativity. In H. H. Anderson)Ed.) **Creativity and its cultivation** (PP.25-42) . NewYork: Harper and Row.

39 - Rogers, C. (1963) The actualizing tendency in relation to "Motives" and to consciousness. In M. Jones (Ed.), **Nebraska Symposium on Motivation** (Vol. 2,pp. 1-24),Lincoln: University of Nebraska Press.

40 - Shaw, M. P. (1981) The Eureka process: A structure for the creative experience in science and engineering. **Creativity Research Journal** 2.283-298 .

41- -Szent-Gyoergyi, A. (1966) The drive in living matter to perfeet it self, **Journal of Individual Psychology**, 22. 123-162.

42 -Torrance, E. (1967) :Mental health and creativity functioning. **The Gifted Child Quarterly**. Vol.3. PP.120-132.

المحور الثالث

جدلية العلاقة بين التربية والثقافة

ثقافتنا العربية وتعليمنا باللغات الأجنبية

الأستاذ الدكتور حامد زهران

الاسم الرسمى لوطننا الغالى العزيز " جمهورية مصر العربية "، ولغتنا الرسمية كما جاء فى دستور جمهورية مصر العربية ، هى اللغة العربية .

واللغة هى وعاء الثقافة . واللغة القومية – وهى لغتنا العربية – تعبر عن هويتنا ، وعن شخصيتنا القومية ، والتمسك بها يعبر عن الانتماء.

وتتحمل المؤسسات الثقافية والمؤسسات التعليمية والمؤسسات الإعلامية ، مسئولية دعم اللغة العربية ، وبالتالى دعم الانتماء ومقاومة التغريب اللغوى ، الذى يتجسد فى التغريب الثقافى ، ويؤدى إلى الاغتراب بصفة عامة ،

وعلى مؤسسات الثقافة ، والتربية والتعليم ، والإعلام تحمل مسئوليتها فى الحفاظ على الهوية ، والثقافة العربية من خلال دعم اللغة العربية ، ونبذ التغريب اللغوى الذى يعتبر هجمة شرسة على اللغة العربية ، بزعم كاذب وخاطئ يدّعى قصورها عن مواكبة التقدم العلمى ، والتكنولوجى وحتمية العولمة ، وكونية الثقافة فى القرية الكونية المزعومة .

ومن مظاهر التغريب الثقافى فى المجتمع بصفة عامة , تضاؤل الاهتمام بالدراسة باللغة العربية ، وانتشار عقدة الخواجة ، والانبهار بثقافة الأجانب ، وتقليد كل ما هو أجنبى ، واستخدام الكلمات الأجنبية ، بل واللغة الأجنبية على حساب العربية بشكل متزايد فى وسائل الإعلام ، ومؤسسات التعليم .

وإذا فتّشنا في العالم كله ، فلن نجد مَن يعمل فى لغته القومية ما نعمل فى لغتنا العربية الجميلة من تحريف وازدراء وتغريب ، وهى لغة القرآن الكريم ، ولغة أهل الجنة إن شاء الله .

وبقدر ما نعلم نجد أن إسرائيل توحد بين اليهود المهاجرين إليها ، بلغاتهم المتعددة ، بل وثقافاتهم المتباعدة ، عن طريق اللغة العبرية .

وبقدر ما نعلم ، نجد أن الأمريكيين يوحدون بين المواطنين - الذين يهاجرون إلى الولايات المتحدة الأمريكية من مشارق الأرض ومغاربها - بتوحيد طريقة النطق الأمريكى ، والكتابة الأمريكية للغة الإنجليزية .

وبقدر ما نعلم فإن الفرنسيين ، والإنجليز لديهم كلمات كثيرة لها نفس الحروف ، ونفس المعنى ، وكل من الشعبين لا ينطق إلا بنطقه الخاص ، مثلاً : Education Television

والتغريب اللغوى هو تفضيل استخدام أسماء ، وكلمات ، وتعبيرات غريبة ، تحل محل اللغة العربية فى الاستخدام اليومى ، وجعل اللغة العربية غريبة فى وطنها وبين أهلها ، وكتابة العربية بحروف لاتينية ، أو كتابة اللغات الأجنبية بحروف عربية ، وإقحام حروف هى بمثابة حروف تخريب اللغة العربية ، وهى ب وتحتها ثلاث نقط (كما فى بلاى بوى) ، ج وتحتها ثلاث نقط (كما فى إيجيبت)، ف وفوقها ثلاث نقط (كما فى لوفلى) (يلاحظ أنه حتى الكمبيوتر لا توجد فيه هذه الحروف ، لأنها ليست عربية ، ولا حاجة للغتنا بها) . وهل لاحظ أحد أن الغرب خرّب لغاته بإدخال ولو حروف واحد من حروف لغتنا مثل ح ، ض ، ط ، ظ ، ع ، ق ؟!

وأخطر ما فى الأمر ، هو التعليم باللغات الأجنبية من الحضانة (نيرسرى ، مثل : روتس نيرسرى) ، ومن الروضة (كى جى وجمعها كيجيهات) ، وحتى الجامعة والتعليم العالى ، على حساب اللغة العربية ، وتقليعة إنجليش سيكشن ، وهذا غزو ثقافىّ صريح ، واختراق غربى للعقل العربى ، يجسده تفضيل التعليم باللغات الأجنبية على التعليم باللغة العربية ، والاعتماد على اللغات الأجنبية فى بعض فروع العلم والتكنولوجيا ، وسُعار تفضيل أقسام اللغات الأجنبية على أقسام اللغة

العربية ، وسباق الجامعات الأجنبية ، مثل الجامعة الأمريكية ، والجامعة الفرنسية، والجامعة الألمانية ، وحتى الجامعة التكنولوجية الجديدة ذات " الكاونسيل أوف تراستيز " .

ومن المؤسف أن تمنح وزارة التربية والتعليم ترخيصًا لمدارس لغات ، تحمل من الأسماء ما لا يليق فى جمهورية مصر العربية ، مثل : إيليت ، ليدرز ، بيبى جاردن ، نيو بيبى جاردن ، بى أون هليوبوليس ، بى بى سى ، جرين فالى ، راجاك ، لا روز دى ليزيه ، مطر سكول ، مودرن سكول ، نوتردام ديزابوتر . ومن المستغرب أن نرى فى شوارع مصر ما يسمونه باصات المدارس مكتوب عليها : إيجيبت سكول، فيوتشر سكولز ، مدارس سينا سكولز.

وهل يصح أن نربى أولادنا فى دور مصرية تحمل أسماء مثل : بيبى داى كير هوم ، مازر بيبى كير ؟!

كيف نسمح أن يتعلم أولادنا فى دروس الجغرافيا أسماء معالم جغرافية وأسماء مدن وقرى وشواطئ فى مصر ، ولكنها لا تنتمى إلى ثقافتنا ولا إلى لغتنا ، مثل : جرين فالى، نايل سيتى ، جولف تاون ، جرين بيتش ، ساندى بيتش ، كنارى بيتش ، لونج بيتش ، ميامى بيتش ، بالم هيلز ، بيفرلى هيلز ؟!

كيف نسمح أن تتحول أسماء أرضنا الطيبة إلى : جرين لاند ، دريم لاند ، فيش لاند ، ماجيك لاند ، ميت لاند ، ميلكى لاند ، وندر لاند ؟!

من منا لا يسمع فى مجال التربية والتعليم فى المدارس المصرية ، كلمات مثل : مستر، ميس ، بيبى كير ، تشايلد كير ، بوى ، جيرل ، تشايلدهود ، جونيور ، سينيور ، نيرسرى ، برايمارى ، بريباراتورى ، سيكوندارى ، إكسيلانت ، جود ، أكتيفيتى ، جيمنيزيوم ، بول (باسكيت بول ، فوت بول ، فولى بول ، هاند بول) ، باج ، باص (جمعها باصات) ، سكول ، سيكشن ، كلاس ، بريك ، بوك ، ساينس ، سوسيولوجى ، سيكولوجى ، فسيولوجى، ماث ، هيستورى ، فلاج ، كير ، لاب ، بيولاب ، هوم ويرك ، ويك إند ؟!

وفى الفسحة يذهب أولادنا إلى "الكانتين" ليشتروا بعض المأكولات ، أو المشروبات ، أو الحلوى فيجدوا أسماءها غربية غريبة ، وكأننا فى لندن ، أو باريس أو نيويورك . ولا يتسع المجال لذكر أمثلة لما يعرض من "فوودز" و "درينكس" و "سويتس" ،

وبعد المدرسة يذهب أولادنا إلى مراكز يسمى الواحد منها "إديوكاشن سنتر" .

وبعد هذا وذاك يقضى أولادنا وقت فراغهم على كوفى شوب ، ومع كل منهم موبايل وفى صحبة بوى فريند ، أو جيرل فريند ستايل .

ويجتمع المربون لتدارس أمور التربية والتعليم باستخدام الفيديو كونفرانس .

إننا نؤكد أن التعليم باللغات الأجنبية خطأ تربوى جسيم ، ومرض تربوى يسرى وينتشر فى جسم المجتمع فى شكل مَرَضٍ تربوى خبيث . نقول هذا ونؤكده ، وفى نفس الوقت نقول إن تعليم اللغات الأجنبية على أعلى مستوى أمر مرغوب ومطلوب وحميد .

ومن المؤسف أن " مصر " ، اسم البلد الآمن ، المذكور فى القرآن الكريم مرات ومرات، حيث قال الله تعالى فى القرآن الكريم : {ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين} ، وغير هذه من الآيات البينات . اسم مصر العظيم يغرّبونه ويقولون "إيجيبت" ، وهل سيصبح اسم مصر فى يوم من الأيام – لا سمح الله – "جمهورية إيجيبت الغربية" ؟!

لقد أصبح أولادنا يسمعون ويقرؤون اسم مصر ينطق ويكتب هكذا : أتلنتس إيجيبت ليمتد ، إيجى هاوس ، إيجيبت إليكترو تكس ماركيت ، إيجيبت تريد ، إيجيبتا ، إيجيبت موتورز ، جولد جوى هوليداى إيجيبت ، لانجيرى إيجى فرانس ، لوف إيجيبت تورز) .

ومن المخجل أن نعلم أولادنا اسم النيل العظيم "نايل" ، والأهرام الشامخة "بيراميدز" وأبو الهول "سفينكس" وقاهرة المعز "كايرو" .

وهل يرضينا تقليد الغرب فى استخدام الحروف لتدل – اختصاراً – على الكلمات غير المعروفة مثل : إم آند إن ، إم سى آى ، إل آند إم (حيث يفسرها البعض كما يحلو له) ؟!

وهل يشرفنا المزج الخالى من المعنى بين الحروف والأرقام كما فى : إيه وان ، تو وايز، ثرى إم ، دوز آش ، سيكس إم ، فور إتش (حيث يفسرها البعض كما يحلوله) ؟!

وهل يسعدنا المزج بين الأرقام والكلمات كما فى : توب تونتى إيت، ثرى ستارز ، سفن سيز ، فايف ستارز ، كاتر ميزون ، وان واى ؟!

وهل يصح المزج بين الحروف والكلمات مثل : آى سى سنتر ، إيه إم فيرنيتشر، جى إم سى سنتر ، واى إن سنتر ؟!

وهل يشجينا الغناء العربى الذى يستخدم فيه اللحن الغربى الغريب ، بدلا من اللحن الشرقى ، والموسيقى الشرقية التى تشنّف الآذان .

ولننظر إلى ملابس أولادنا فى معاهد العلم ، بل إلى ملابس المواطن المصرى العربى، المصنوعة فى جمهورية مصر العربية ، وقد طبعت عليها اللغات ، والأعلام الأجنبية وخاصة اللغة الإنجليزية وعلم أمريكا .

ولنسمع أحاديث الناس وهم يتكلمون "فرانكوآراب" ويستخدمون كلمات مثل : أمَنْشِن ، أسَسْتِم ، أسَيّف ، تيك ات إيزى ، نو بروبليم ، أنشانتى ، إكسلانس ، دارلينج ، متَنْشِن ، نيرفوس ... إلخ .

ولنراجع أسماء المدن ، والقرى ، والشواطئ ، والمؤسسات ، والشركات ، والمراكز، والمحال ، والمصارف ، والمدارس ، والفنادق ، والمطاعم ، والطعام ، والملابس ، والبضائع ، والمشاعر ، والمناشط ، والوظائف ، والنوادى ، والصفات ، والعلوم ، والفنون ، والآداب ، لقد أصبحت - فى معظمها - أجنبية وغربية وغريبة .

والتعليم والإعلام وجهان لعملة واحدة فى إطار الثقافة ، كل يؤثر فى عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع والاندماج الاجتماعى .

ومن منا لا يسمع أو يشاهد أو يقرأ فى وسائل الإعلام ، التى تستخدم نايل سات - ومنها دريم تى فى- كلمات مثل : راديو، تليفزيون ، ستاندباى ، فور ثرى تو وان ، آكشن ، ستوب ، أوبرا ، أوركيسترا ، بارتى ، باكجراوند ، باند ، بلاتوه ،

توب ، جورنال ، دوبلاج ، آرتيست ، دوبلير ، ريجيسير ، كاسْت ، كاسيت ، كومبارس ، ستار ، ديجيتال ، "برنامج" زووم ، "برنامج" سيناريو ، "برنامج" ميوزيكانا ، " برنامج " ويك إند ، ديالوج ، سوبر ، كايرو شو ، فيديو ، فيديو كليب ، كلاكيت ، لوكيشن ، مكساج ، موديل ، مونتاج ، مونولوج ، مونولوجيست ، ميوزيك) ؟!

من منا لا يسمع أو يشاهد أو يقرأ في عالم الإعلان – في وسائل إعلام جمهورية مصر العربية – كلمات لا تمت للغتنا العربية بصلة مثل : آرت ، إكسبورت ، أكوا ، إنترناشيونال ، أوتوموبيل ، أوتوستراد ، إند ، إيديال ، باراديز ، بارك ، باسكيت ، بالاس ، برينت ، بنك ، بيج ، بيرد ، بيزنيس ، بيس ، بيلدينج ، بينالى ، تاكسى ، تاور ، تايم ، ترافيل ، ترانسبورت ، تريد ، تِكْس ، تكستايل ، توب ، تورز ، تى ، تيك اواى ، جاردن ، جراند ، جروب (جمعها جروبات) ، جول ، جولد ، جينتل ، داتا ، دانس ، داى ، دور ، ديب ، ديليشوس ، روز ، رويال ، ريتش ، ريستوران ، ساند ، ساندويتش ، سبورت ، ستيلاً ، سكاى ، سمول ، سناكس ، سوبر ماركت ، سكوب ، سويت ، سيتى ، سيرفيس ، سيلفر ، سيكيوريتى ، سِينما ، شو ، شوب ، شوبينج ، شورت ، شوز ، صن ، فاشون ، فانتاستيك ، فريش ، فوت ، فوود ، فيرست ، فيش ، فيليج ، فيوتشر ، كار ، كاربيت ، كازينو ، كاش ، كريزى ، كلوب ، كوافير، كواليتى ، كورنر ، كومبليت ، كويك ، كوين ، كينج ، لايت ، لايف ، لونج ، ليدى ، ليمتِد، ليموزين ، ماركيت ، مان ، موبايل ، موتوسيكل ، مود ، مودرن ، مول ، مون ، مِيت ، ميتال، ميدى ، ميلك ، مينى ، نايت ، نيو ، هابى ، هاند ، هاندسوم ، هاى ، هَنى ، هوت دوجز ، هورس ، هير ، هير ، هير دريسر ، ووتر ، وير ، ويل ، يونيفيرسال ؟!

ومن المسئول عن تسلل هذا العبث باللغة العربية في الأسرة حيث ينشأ كل مواطن وينمو ، فتصبح الأسرة "فاميلى" ، والدار "هوم" ، والبيت "هاوس" أو "ميزون" ، ويصبح الأب "دادى" والأم "مامى" ، والأخت "سيستر" ، والطفل "بيبى" أو "تشايلد" ، والآنسة "مادموازيل" ، والعروس "برايد" ، والسيدة "مدام" ، والرجل "مان" ، والعم "أونكل" ، والخالة "تانت" ، والصديق "فريند" ، والمدخل "أنتريه" ، والصالة "هول" ، والمطبخ "كيتشين" ، والباب "دوور" ، والشباك "ويندو" ، والأثاث "فيرنيتشر" ، واللعبة "توى" ؟!

ومن منا يرضى أن تصبح التحية بيننا : هاى ، بون جور ، جود مورنينج ، بون سوار، جود إيفينينج ، ميرسى ، ثانكس ، أوروفوار ، باى باى .

ومن منا يقبل أن يرى أولادنا لغتهم العربية تكتب بحروف لاتينية حتى على زجاج السيارات ، مثل : Kollo Fi-el Kelatsh؟!

نحن نحتاج إلى تشريع فعال (فى الخدمة ، وليس مرفوعًا من الخدمة) ، وإلى وعى أكيد، وإلى سلوك رشيد للحفاظ على ثقافتنا العربية وعلى هويتنا العربية ، تأكيداً للانتماء ، وسحقًا للتغريب .

وليكن لجمهورية مصر العربية – أم الدنيا ، وكبيرة الدول العربية – فى الجماهيرية العربية الليبية (الشقيقة الصغرى) أسوة حسنة ، حيث تمنع استعمال غير اللغة العربية . فمن بين القوانين التى نشرت فى مدونة التشريعات الصادرة عن مؤتمر الشعب العام التى أقرتها جماهير المؤتمرات الشعبية فى دورات انعقادها القانون رقم ٢٩ لسنة ١٣٦٩ من وفاة الرسول ، الذى يمنع استعمال غير اللغة العربية بالجماهيرية الليبية فى جميع المعاملات ، وعلى وجه الخصوص فى المطبوعات ، والمكاتبات ، والمستندات والوثائق ، والكتابة على وسائل النقل والآليات الأخرى ، والمبانى وعلى الطرق ، وأى مكان آخر ، وكذلك الإشارات ، والعلامات ، والإعلانات واللافتات ، وأسماء الشوارع ، والميادين ، والوصفات الطبية باستثناء اسم الدواء ونوع المرض . كما حظر القانون كتابة أسماء المحلات ، والوحدات الإدارية ، والهيئات ، والمؤسسات ، والأشخاص الاعتبارية العامة والخاصة ، وجميع أدوات الأنشطة الاقتصادية بغير العربية . وعلى هذه الجهات تسوية أوضاعها بما يتفق وأحكام القانون خلال مدة أقصاها ستة أشهر من تاريخ العمل به ، كما منع القانون استخدام الأسماء غير العربية الإسلامية ، والأسماء العربية التى لم يقرها الإسلام ، وكذلك الأسماء ذات الدلالة الخاصة التى تتنافى مع روح الإسلام وهوية الشعب الليبى ، ويحظر تسجيلها بالسجلات والوثائق أيا كان نوعها . وعلى أولياء أمور الأطفال الذين لم يبلغوا سن الدراسة ، تسوية أوضاعهم بما يتفق وأحكام القانون فى مدة أقصاها سنة ، وعاقب القانون كل من يخالف مادته الأولى بغرامة لا تقل عن ٥٠٠٠ دينار،

وإلغاء الترخيص ، وإغلاق المحل الذى يزاول فيه المخالف نشاطه وحرمانه من الحصول على ترخيص ، بمزاولة الأنشطة الاقتصادية لمدة سنة من تاريخ صدور الحكم ، وتزال المخالفة بالطريق الإدارى وعلى نفقة المخالف .

ماذا بعد هذا يمكن أن يقال ؟!

من المسئول عن هذا العبث باللغة العربية ؟!

"نحن" جميعًا مسئولون .

نقول لكل مسئول ما قاله الشاعر العربى :

إذا كنت لا تدرى ، فتلك مصيبة   وإن كنت تدرى ، فالمصيبة أعظم

اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

ألا هل بلّغت ، اللهم فاشهد ...

* * * * * * *

التربية من خلال الفن :

تأملات فى فكر هربرت ريد

أ . د . ماهر شفيق فريد

الصلة بين علم التربية وسائر الأنساق المعرفية ، جانب مهم من جوانب هذا العلم ذاته ، وممن ساهموا فيه بالرأى ، والمشورة الأديب الناقد الأدبى ، والفنى الإنجليزى السير هربرت ريد (١٨٩٣م – ١٩٦٨م) وذلك فى كتبه ، ومحاضراته ، ومقالاته وهى تشمل :

– التربية من خلال الفن (الناشر: فيبروفيبر، لندن /١٩٤٣م كتب بانثيون: نيويورك، طبعة منقحة ١٩٥٨م).

– التربية من أجل السلام (الناشر: سكربنرز، نيويورك، ١٩٤٩م).

– الثقافة والتربية فى النظام العالمى محاضرة (نيويورك، متحف الفن الحديث، ١٩٤٨م).

– الفن والتربية (مليورن، تششير، ١٩٦٤م)

– افتداء الروبوت: مواجهتى مع التربية من خلال الفن (نيويورك، مطبعة ترايدانت، ١٩٦٦م).

– تربية بشر أحرار (لندن، مطبعة الحرية، ١٩٤٤م).

– "التربية من خلال الفن" وهو فصل من كتابه المسمى "كتابات مختارة: شعراً ونقداً (الناشر: فيبر وفيبر، لندن ، ١٩٦٣م).

يرى ريد – الذى كان رئيساً لـ "جماعة التربية من خلال الفن" – أن الفن روح تغذو المادة ، وأنه يربى الحساسية على الإدراك. الفن نمط من المعرفة قيمته للإنسان لا تقل عن قيمة الفلسفة أو العلم، ولأنه يتضمن قيمًا شكلية ، وقيمًا سيكولوجية ، وقيماً فلسفية فإنه وثيق الصلة بتربية متلقيه ، إن الإدراك الحسى العميق للشكل واحد من الإمكانات القليلة ، لافتداء الجنس البشرى ، وتخليصه من التوترات، والأعصبة . ويسوق ريد فى كتابه "الفن اليوم" (ترجمة: محمد فتحى وجرجس عبده، دار المعارف، ١٩٨١م، ص ١٩) رأى الفيلسوف الألمانى شللر فى رسائله المسماه "عن التربية الجمالية للإنسان" (لها ترجمة عربية بقلم د. وفاء إبراهيم) محبذاً موقف شللر الذى يرى أن الفن ينبغى أن يكون أساسًا للتربية، وأن تنمية الحس الجمالى ، هى الأساس الجوهرى لتنمية العقل والأخلاق .

يسعى ريد – كما يقول الناقد الأمريكى آلن تيت فى مقدمته لكتاب ريد "كتابات مختارة" المذكور أعلاه – إلى إقامة مركب من الحدس الرومانطيقى والنظام الذهنى. ويؤكد ناقد آخر – كنجزلى ويدمر– أن ريد إذا ثار على الإسراف فى الميكنة (متابعًا فى ذلك رسكن ووليم موريس من نقاد العصر الفيكتورى فى انجلترا القرن التاسع عشر) وعلى الوظيفة التكنوقراطية الصارمة ، ذهب إلى أن كل تعليم ، ينبغى أن يتركز على اكتساب إحساس جمالى عميق بالخبرة. إن هذا أمر أساسى باعتباره معرفة تكفكف من غلواء العلم، بل هو إسباغ للطابع الإنسانى على الفوضى التكنولوجية ، ينبغى ادماج العمل والفن معًا، فإن كل امرئ بحاجة إلى العيش العضوى جماليًا (أنظر مادة "هربرت ريد" بقلم كنجزلى ويدمر فى كتاب "مفكرو القرن العشرين" الطبعة الثانية، تحرير رونالد تيرنر، مطبعة ساندة جيمز، ١٩٨٧م).

ويقول ناقد ثالث – فرانسيس برى فى كتابه عن ريد (الناشر: لونجمانز، ١٩٥٣م): "من المحقق أن اتجاه كتاب "التربية من خلال الفن" بأكمله ينحو إلى الدعوة إلى جعل الخيال ، والمراكز الجمالية أساس التعليم فى كل مراحله، بدلاً من توكيد الملكات المنطقية ، ومساعدة الذاكرة" (ص١١)، لقد سعى ريد إلى إحداث ثورة فى أهداف التربية ، ومناهجها وذلك فى كتبه "معنى الفن" (الناشر: فيبر وفيبر، لندن، ١٩٣١م، وله ترجمة بقلم سامى خشبة، ومراجعة مصطفى حبيب، دار الكاتب العربى

للطباعة والنشر، ١٩٦٨م) و"الفن الآن (الناشر: فيبر وفيبر، لندن، ١٩٣١م، سبق ذكر ترجمته العربية تحت عنوان "الفن اليوم").

وفى فصل من كتابه المسمى "فلسفة الفن فى الفكر المعاصر" لأستاذ الفلسفة الراحل الدكتور زكريا إبراهيم (مكتبة مصر) يتحدث المؤلف عن فلسفة الفن عند ريد تحت عنوان "الفن شكل ومعرفة" فيقول (ومعذرة لطول المقتطف فهو لا يقبل الاجتزاء):

"إننا قد اعتدنا توجيه كل اهتمامنا إلى النشاط الذهنى القائم على اللغة الرمزية، أو العلامات غير المنطوقة (لغة الفن). ومن هنا فإننا نتوهم أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق التواصل بين الناس، إنما هى الوسيلة اللغوية، وأن المعرفة الوحيدة التى لابد لنا من العمل على تحويلها، إنما هى المعرفة القائمة على بعض العلامات المنطقية، وهذا هو السبب فى أننا ننظر إلى أولئك الذين يشغلون أنفسهم بالأساليب غير اللفظية من الفهم، والمعرفة على أنهم طائفة شاذة من الناس، لاتفيد البشرية كثيراً من وراء محاولاتهم العقيمة فى سبيل التعبير عن المعانى، والدلالات بلغة الأشكال، والألوان والأصوات.

وقد انعكس هذا الاتجاه على أساليبنا التربوية، فأصبحنا ننمى فى نفوس النشء، القدرة على تكوين التصورات، ونشجعهم على القيام بشتى عمليات التجريد دون أن نحفل كثيراً، بتنمية قدرتهم على الإدراك الحسى، أو تشجيع ميولهم الإدراكية على التعبير عن الحقيقة الحسية بلغة الرموز غير المنطوقة" (ص ٣٤٢).

والنتيجة التى يتأدى إليها ريد مما سلف هى أننا، كما نحتاج إلى تربية الملكات العقلية، نحتاج إلى تربية الحواس بصرياً، وسمعياً، وذوقياً، ولمسياً وشمياً، لا بل إن الإدراك الحسى الصحيح، هو أساس التفكير الصحيح، وذلك لكون الحواس هى بوابة الفهم، وأساس كل عملية عقلية.

وفى فصله عن "التربية من خلال الفن" (١٩٦٣م) يحدد ريد خمسة أهداف للتربية الفنية كلها، فى نظره، وسائل لتحقيق الذات، والتواصل مع الآخرين. وهذه الأهداف هى:

١ - المحافظة على الشدة الطبيعية ، لكل أنماط الإدراك الحسى ، والإحساس.

٢ - التنسيق بين الأنماط المتنوعة ، للإدراك الحسى ، والإحساس من حيث علاقتها بالبيئة.

٣ - التعبير عن المشاعر ، فى شكل قابل للتوصيل.

٤ - التعبير عن الأعماق الغائصة للشخصية ، سواء كانت لا شعوراً فردياً فرويدياً ، أو لا شعوراً جميعاً يونجياً.

٥ - تعليم النشء كيف يعبرون عن أفكارهم ، من خلال شكل مطلوب ، أو حرف بناءة كالهندسة ، أو المنطلق .

ليس الفن نظاماً تحكمياً يتعين إخضاع الطفل له، وإنما هو نظام كامن فى ردود أفعالنا إزاء النظام الطبيعى ، وفى التمشى مع هذا النظام يجد الطفل حريته الكاملة. والفن أيضاً - وتأثيره التربوى نابع إلى حد كبير من هذه الحقيقة - عملية اجتماعية، فهو ليس توصيلياً فحسب، بمعنى أنه موجه إلى جمهور، وإنما هو أيضاً نشاط جماعى ، بمعنى أنه يمكن أن يكون وسيلة ،لبلوغ أهداف مشتركة.

إن للتربية، فى رأى ريد، وظيفة مزدوجة: فهى - من ناحية - تنمية للتعبير الحسى والتوصيل لدى الفرد، وهى - من ناحية أخرى - تحقيق للتفاهم بين إنسان وإنسان.

ولا يمكن تنمية الشخصية تنمية كاملة بدون أن تسقط خبراتها الذاتية على أشكال عينية، وأن يتعاظم حظها من البراعة والدقة فى بلوغ هذا الهدف.

إن النفس الإنسانية، كما ندرك على نحو متزايد مع تقدم العلوم العقلية، تكيف رهيف بين الإحساس ، والشعور ، والحدس ، والفكر. ورغم إننا ندعو الإنسان حيواناً عاقلاً، لأنه الوحيد بين الكائنات الحية الذى يملك القدرة على تكوين تصورات ، وعلى ربط خبراته الجديدة بتجريدات كلية، فإن حاجاته الحقيقية - رغم ذلك - إنما هى موجهة إلى الأنشطة الإبداعية. لا ينبغى أن نقمع المكونات الغريزية ، والوجدانية فى الشخصية الإنسانية، فما من طائر يستطيع التحليق بجناح واحد فقط، إن التوفيق

بين الحدس والعقل، بين الخيال والتجريد، لا يتسنى إلا بطريقة موضوعية أو خلاقة ، فقط عن طريق إسقاط جانبى طبيعتنا على بناء عينى يمكن لنا أن نحقق عملية التوفيق وأن نتأملها. وهذه، على وجه الدقة، هى وظيفة العمل الفنى، وقد ظلت كذلك عبر القرون. فالعمل الفنى هو رمز التصالح بين مختلف الملكات العقلية والوجدانية. وفى المصنوع الفنى العينى ، تخضع دوافعنا للنظام الجمالى – نظام الإيقاع والتناسب – ويغتذى العقل على الطاقات الحيوانية الحيوية.

وعند هذا الموضع من بحثه يشير ريد إلى رسائل شيللر "فى التربية الجمالية للإنسان" واضعًا إياها ، بأنها أعمق بحث فى التربية خطه قلم إنسان ، والإهمال الذى وقعت هذه الرسائل فريسة له فى عصرنا لا تفسير له ، إلا أنها ظهرت فى لحظة تاريخية غير مواتية (عام ١٩٧٥م) ، هى لحظة دخول أوربا مرحلة التوسع الصناعى ، والاختراعات الميكانيكية التى تتطلب من المديرين والتنفيذيين نوعًا من التربية يضاد، على وجه الدقة، ذلك الذى دعا إليه شيللر. إن مفهوم "الشكل الحى"، الذى يقع من فلسفة شيللر فى الصميم، مضاد للأشكال الميتة لإنتاج الآلات والتنظيم الصناعى، مما يستحيل معه أن يوصى المرء المبشرين بالربح المادى، حيث العمل البشرى مجرد واحد من العوامل الاقتصادية الداخلة فى عملية الإنتاج، بتنمية "غريزة اللعب" على نحو ما يوصى شيللر. بل إن أقطاب الصناعة المستنيرين فى القرن التاسع عشر، وحتى المصلحين التربويين أنفسهم، لابد أنهم قد نظروا إلى فيلسوف يدعوهم، فى رسائله عن التربية، إلى الإقرار بأن "الإنسان لا يلعب إلا عندما يكون إنسانًا بأتم معانى الكلمة، ولا يكون إنسان بصورة كاملة إلا وهو يلعب نظرهم إلى مجنون. كذلك يؤكد ريد، مستعينًا بإرنست كاسيرر، وسوزان لانجر، وظيفة الرموز فى الحياة العقلية والاجتماعية للإنسان، وهى وظيفة جنحت أساليب التربية الحديثة إلى تجاهلها بدرجة كبيرة مما أدى إلى افقار الثقافة. لم يكن توكيد شيللر لغريزة اللعب تحكيمًا ، وإنما كان نابعًا من إدراكه أن هذه الغريزة هى الوجه النشط لكل خيال، ومن ثم لكل نشاط رمزى ومجازى. ومن خلال هذه الغريزة يمكن التوسط بين عالم الخبرة الحسية ، وعالم الأشكال، ومن ثم يمكن توفير أساس لكل خطاب رمزى – لا فى مجال الفن فحسب، وإنما فى مجالات اللغة ، والأسطورة ، والفلسفة، والعلم.

لقد بين ريد – مستخدماً ثقافته الأدبية ، واطلاعه الواسع على الفن التشكيلى تصويراً ونحتًا – أن النقلة من أحد عصور الفن إلى عصر آخر، ومن فنان إلى آخر، ومن مدرسة فنية إلى أخرى تدريب ذهنى وروحى يقع من عملية تربية النشء فى الصميم إذ هو يعود الناشئ – الرجل والمرأة الناضجين فيما بعد– على رؤية الأمور من منظورات مختلفة، ويؤكد التنوع البشرى الخلاق، وينأى بصاحبه عن التعصب لاتجاه معين، ويزيد الروح رحاب بل يزيد الإنسان إنسانيته ، لأنه يوقفه على القواسم المشتركة بين مختلف الحضارات، شرقية وغربية، قديمة وحديثة، وبذلك مقاوم نزعات الاستعلاء العنصرى، والشعور بالتفوق على سائر الأجناس، والشوفينيه ضيقة الأفق وكلها – كما أثبتت تجارب أوربا مع النازية ، والغاشمة ، وسائر النظم الشمولية – عوامل تخريب مدمرة للحضارة ، ولروح الإنسان.

التقرير الختامى
لندوة
الثقافة والتربية
" المقترحات والتوجهات "

أ . د . طلعت منصور

تحت رعاية الأستاذ **فاروق حسنى** وزير الثقافة ورئيس المجلس الأعلى للجامعات ، وبدعوة من الأستاذ الدكتور **جابر عصفور** أمين عام المجلس الأعلى للثقافة، والأستاذ الدكتور **عبد السلام عبدالغفار** مقرر لجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة، عقدت " ندوة الثقافة والتربية " فى ٢٩ إبريل عام ٢٠٠٢ ، بقاعة المؤتمرات بالمجلس الأعلى للثقافة، وتضمنت ثلاث جلسات، إضافة إلى الجلسة الافتتاحية والجلسة الختامية.

انتظمت الندوة فى ثلاث محاور رئيسية، وهى:

المحور الأول : التربية والتغيرات الثقافية فى عالمنا الراهن.

المحور الثانى : الثقافة فى جوانبها الإبداعية.

المحور الثالث : جدلية العلاقة بين التربية والثقافة.

تناول المحور الأول (التربية والتغيرات الثقافية فى عالمنا الراهن)

موضوع :

" ثقافة أهل مصر نموذج للحوار بين الحضارات "

تبرز فيه كيف انطلقت كوامن الإبداع من الحضارة المصرية ، لتختزل المسافات الزمنية، حتى لقد يصح القول ، بأن المصرى قد اشترى الزمان والمكان، وأن الحضارة

المصرية هى الأصل ، الذى ارتوت منه الحضارة الإغريقية، ومن ثم حضارة العالم وبالفطرة المطبوعة على التدين ، استجابت مصر لبشارة السيد المسيح؛ وبنفس الفطرة، فتحت مصر ذراعيها للقائد عمرو بن العاص ، كى يخلص هذا القائد العربى المسلم خؤولته أهل مصر من مخالب الرومان؛ ووجدت مصر فى الإسلام دينًا يدعو إلى الحق، ويعترف برسالات السماء جميعًا، ويتخذ الإنسان موضوعًا له . وفى سياق عملية الحضارة التى دفعتها مصر وفعلتها، أعطت مصر للدنيا أكثر مما أخذت وتأخذ ؛ وهى أبد لتتعفف عما يتساقط من موائد اللئام، وليس فى حاضرنا شىء نتبرأ منه، وليس فى ماضينا شىء نخجل عنه؛ فالجد الفرعونى أصيل، والأب عربى نبيل، والأم فى الحالتين ابنة النيل الكريم .

وتطرح "التربية والعولمة" ، باعتبارها قضايا رئيسية فى عالمنا المعاصر ، تنطوى على تحديات ذات أبعاد متعددة ، فإزاء عالم تصغر فيه المسافات، وتقترب المجتمعات، وتتداخل المصالح والاهتمامات، وتتفاعل الثقافات، وهو عالم المعلوماتية والتكنولوجيات المتقدمة؛ عالم ثقافة المعلومات؛ وثقافة السوق، حيث صارت المعرفة ذاتها اقتصاداً يحرك بدوره السياسات والعلاقات بين الثقافات وداخل الثقافة - إزاء كل ذلك، وإزاء تهديد الهويات الثقافية، تبرز التربية وبالضرورة كحصن منيع يحمى الهوية الثقافية ، ويصون الشخصية القومية من عوامل التغريب والاغتراب، وكأساس متين يعزز الثقة فى الذات الحضارية، وينميها فى تفاعل خلاق مع معطيات العصر؛ دون انغلاق، بل انتقاء وتوظيف لهذه الثقافة، بما يتوافق مع ذاتنا الثقافية نموًا وتقدمًا .

ويؤكد موضوع "الثقافة والتربية والتحديات الثقافية خلال الأبعاد التاريخية" ، أن الثقافة والتربية وجهان لعملة واحدة، فالتربية عملية ثقافية بحسبان أن أهدافها ، ومحتواها ، وطرائقها تتحدد فى ضوء خصائص النمط الثقافى السائد، وأن الإبداع الثقافى رهن بتوفر نظام تربوى جيد وخلاق، وفى ذلك تبرز عدة تحيات تؤثر فى علاقة التربية بالثقافة وتسهم فى الوقوف على أبعاد العلاقة بين الخصوصية والعالمية فى الإبداع الثقافى؛ وهى تحديات : ثورة المعلومات وانعكاساتها على الإبداع الثقافى وظهور حركات ، واتجاهات التجديد فى مختلف مجالات العمل الثقافى، وتنامى رؤى وإبداعات فكرية ، وأدبية ، وفنية جديدة؛ وظاهرة العولمة باعتبارها تحديات تثير الكثير

من الجدل الذى يتراوح بين الرفض التام ، والقبول والتحمس ، والقبول الحذر ثم تحديات تنامى سيطرة رأس المال فى المجال الثقافى. وإزاء هذه التحديات والتعامل معها بإيجابية وإبداعية، تكون رؤيتنا للمستقبل: وهنا فإن أهم ما يجيب على التربية أن تعمى به فى "تعليم" الثقافة ، هو ضرورة التأكيد على الثقافة الوطنية بما تمثله من أصالة وانتماء، من خلال استراتيجية تربوية مرنة ، تمزج بإبداع بين الخصوصية والعالمية، فى حفاظ على المنجزات الثقافية ، وإحياء للعناصر الثقافية الأصيلة.

يختص المحور الثانى بقضايا "الثقافة فى جوانبها الإبداعية"، وحيث تكون البداية الحقيقية لتناول هذه القضايا هى "الطفل المبتكر بين الثقافة والتربية".

فالثقافة هى عين التربية التى ترى من خلالها المجالات المنوعة من الفكر والحضارة، والتربية بدورها تغذى الثقافة ، بما تقدمه من معطيات سلوكية تعزز الثقافة. فالعلاقة بين التربية والثقافة هى علاقة تفاعل ، وتواصل وتوحد، لذا فإن الاهتمام بالطفل ، وبقدراته الابتكارية من خلال التربية ، والتنشئة ، والرعاية تنطوى على توجه مستقبلى خلاق للفرد ، وللمجتمع، ويؤكد هذا التناول للطفل المبتكر من زاويتى التربية والثقافة على دور الأسرة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية فى رعاية الابتكار عند الطفل، وتنميته فى بيئة أسرية واعية مثقفة، تنقل الثقافة بإبداعاتها إلى الطفل، وتستثمر قدراته الابتكارية، وتثرى ملامح الابتكار عنده.

ويطرح موضوع "التربية وثقافة الإبداع"، قضايا تدور حول محور أساسى، وهو الحاجة إلى تربية تنمى ثقافة الإبداع، واعتباراً للثقافة بأنها صيغة من صيغ الفكر ، والسلوك ، وأسلوب للاستجابة للعالم وللتأثير فيه، وتكون الثقافة متخلفة إذا ما تشبثت بجمود آلية التذكر التى تؤدى إلى الضيق والتقلص، وتكون متقدمة إبداعية إذا ما تفتحت إمكانياتها ، للتوسع والامتداد .

ويتأكد هذا فى "دور مؤسسات التربية فى تنمية الإبداع"، حيث يبرز هذا الدور فى سياق عدد من القضايا، وهى: التغيرات العالمية ، ويموج فيها من حرجة العولمة ، والتكتلات الاقتصادية ، والتنافس ، وآليات السوق وما تفرضه هذه التغيرات من ضرورة التنمية البشرية ، وإعداد العلماء ، والمفكرين. وفى طرح هذه القضايا، تتضح

ضرورة تناول مفاهيم الإبداع ، باعتباره عملية ذات مراحل متتابعة، وناتجًا يتميز بمواصفات جدة العملية ، وجدة النتائج. ويتنامى الإبداع في سياق مناخ مواتٍ لنموه ولتنميته. وبهذا تبرز قضايا ثقافة الإبداع ودور التربية من أجل الإبداع من خلال الأسرة ، والمؤسسات التعليمية ، والمجتمعية ، والمناخ العام في المجتمع؛ تأكيدًا على ضرورة الاتساق بين ما تقدمه ، وسائط التربية هذه من أجل تنمية الإبداع.

وفي هذا الإطار، تبرز قضايا وتحديات "الإبداع والهوية الثقافية"، إنطلاقًا من أن الإبداع أعدل الأشياء قسمة بين البشر؛ فالإبداع فينا، هو نحن، هو الإنسان بما هو إنسان، والاختلاف ليس في جوهر الإبداع، ولكن في درجته، التي لا تتحقق إلا من خلال الإيمان بأن الإنسان إمكانية مفتوحة ، تنطوي على وجود إنساني ، يتجلى فيه ثراء نفسي ، وعقلي ممتلئ، مفعم بالإمكانات ، والقدرات ، والمواهب ، والمهارات، وأن العقل الإنساني واحد. ومن ثم فحضارة الإنسان واحدة، بيد أن ثقافاته متعددة . وهنا تبرز قضايا التربية ومسئوليتها؛ فتحقق القدرات والمواهب الإبداعية في نسق ثقافة مبدعة مشروط بدوره بنسق تعليمي متميز، وإنتاج المعرفة وتوليدها في غزارة وثراء وبجدة وأصالة؛ وتتنامى في بيئة ثقافية محفزة على الإبداع ، ومثيبة للإبداع، في مجتمع يشجع عليه ، ويقيم وزنًا للموهبة ، والقدرة ، والإمكانية في عطاء إبداعي وإنساني موصول، ويرتكز هذا الطرح إلى قضية محورية وهي أن الإبداع إفراز للعقل ، وللثقافة معًا. فالعقل قد يعيش في بيئة مخصبة للإبداع، فتتجلى قدراته الخلاقة وصروحة التفسيرية ، وإنجازاته الإبداعية؛ وقد يعيش في بيئة معوقة للإبداع، فتخبو إمكاناته وقدراته، ويستسلم للخرافة والأسطورة ، وأساليب التفكير اللاعقلاني. العقل إذن هو ينبوع القدرة ، والإمكانية والموهبة؛ وهو واحد، لأنه جوهر وجود الإنسان.

أما المحور الثالث، وهو "جدلية العلاقة بين التربية والثقافة"، يبرز عدة قضايا تنطوي على تحديات تربوية وثقافية عديدة، يأتي في مقدمتها قضية "ثقافتنا العربية والتعليم باللغات الأجنبية".

فاللغة العربية هى لغتنا القومية ، التى تعبر عن هويتنا، وعن شخصيتنا القومية، والتمسك بها يعبر عن الانتماء. وتتحمل المؤسسات الثقافية ، والتعليمية ، والإعلامية مسئولية دعم اللغة العربية، وهو دعم للانتماء ، ومقاومة للتغريب اللغوى ، والثقافى ودرء للاغتراب بصفة عامة، فثمة هجمة شرسة على اللغة العربية ،بزعم كاذب وخاطئ يدعى قصورها عن مواكبة التقدم العلمى ، والتكنولوجى. وتأخذ هذه الهجمة طابع التغريب الثقافى الذى يبدو فى عدة مظاهر وهى :

تضاؤل الاهتمام بالدراسة باللغة العربية، وانتشار عقدة الخواجة، والانبهار بثقافة الأجانب، وتقليد كل ما هو أجنبى، واستخدام الكلمات الأجنبية، بل واللغة الأجنبية على حساب العربية فى وسائل الإعلام ، ومؤسسات التعليم وتحذرنا هذه الورقة المهمة من عوامل الإهمال ، أو الإغفال ، أو التغريب للغتنا القومية، وهى لغتنا العربية الجميلة – لغة القرآن الكريم ولغة أهل الجنة إن شاء الله.

وفى "التربية من خلال الفن"، تبدو الصلة بين علم التربية ، وسائر الأنساق المعرفية كجانب مهم من جوانب هذا العلم ذاته. وفى هذا تعرض الورقة لنموذج يقدمه الأديب الإنجليزى "هربرت ريد" الذى كان رئيسًا لـ "جماعة التربية من خلال الفن"، حيث يرى أن الفن روح تغزو المادة ، وأنه يربى الحساسيات على الإدراك؛ والفن نمط من المعرفة قيمته للإنسان لا تقل عن قيمة الفلسفة أو العلم؛ وكما يرى الفيلسوف الألمانى "شللر"، فى رسائله المسماه "عن التربية الجمالية للإنسان"، أن الفن ينبغى أن يكون أساساً للتربية، وأن تنمية الحس الجمالى ، هو الأساس الجوهرى لتنمية العقل والأخلاق.

وتناول موضوع "الثقافة والتربية فى ضوء الهويات الثقافية المتباينة" عدداً من القضايا المهمة المطروحة على الساحة العالمية والإقليمية، من أبرزها تلك المتغيرات الكونية المتسارعة، وخاصة القصف المركز عن طريق البث الفضائى المباشر ، الذى قد يعصف ببعض الثقافات الوطنية؛ وفى هذا السياق بدأ صراع الهويات المتباينة ، يرسم ملامح المستقبل الغامض ، الذى لا يمكن التنبؤ بملامحه بسهولة فى الوقت الراهن ، وتطرح الورقة عدداً من المقترحات الرامية إلى التخطيط للتقدم ، والحفاظ على الذاتية الثقافية فى مواجهة طوفان العولمة.

وفى إطار هذه الموضوعات التى تناولتها فاعليات الجلسات الثلاث للندوة، وما أثير حولها من مناقشات وحوار، وما أطلقته من أفكار وآراء وآفاق، تبرز المقترحات والتوجهات الآتية:

أولاً : التأكيد فى كل سياسات التربية ، واستراتيجياتها ، وخططها ، وبرامجها على أن التربية والثقافة وجهان لعملة واحدة؛ فالعلاقة بينهما علاقة عضوية وثيقة، كلاهما يثرى الآخر فى وجود ثقافى خلاق.

ثانياً : أن التربية والثقافة بهذه الوحدة ، والتفاعل مطالبتان بتعزيز الإحساس بالهوية الثقافية، ثقة فى ذاتنا الثقافية وحرصاً على تنميتها، فى تفاعل خلاق مع ثقافة العصر، ودون انغلاق ، أو انحسار، او انبهار، ودون هرولة بل غربلة ، لروافد الثقافة وتياراتها، والتزامنا بدور حضارى مسئول فى ترشيد مسيرة حضارة هذا العصر.

ثالثاً : توجيه اهتمام خاص بلغتنا القومية – لغة القرآن الكريم بإعجازه اللغوى والعلمى – فى كل الخطط ، والبرامج ، والأنشطة التربوية ، والثقافية ، والإعلامية، اعتزازاً بها، وحضوراً فاعلاً فى كل وسائط ، ومهارات التربية ، والثقافة ، والإعلام، والعلم والتعليم، على المستوى المجتمعى ، والمؤسسى والفردى، حتى تتأكد ذاتنا الثقافية، وتتنامى فى أسلوب حياة رشيد ، وخلاق. من خلال لسان عربى مبين ، تستقيم معه أمور حياتنا، بقدر وعينا أن كل العلل القومية ، هى علل لغوية فى الأساس .

رابعاً : إثراء وسائط التربية والثقافة والإعلام بكنوز قيمنا الحضارية والروحية، إعتزازاً بذاتنا الحضارية، وثقة فى اقتداراتها على الزمان عطاء وإبداعاً؛ فقد أعطت مصر للدنيا أكثر مما أخذت وتأخذ، وهكذا فضل مصر أم الدنيا على هذه المعمورة التى ارتأت لها مصر أن تكون معمورة فاضلة؛ فليس فى حاضرنا شىء نتبرأ فيه، وليس فى ماضينا شىء نخجل عنه، فالجد فرعونى أصيل، والأب عربى نبيل، والأم فى الحالين ابنة النيل الكريم .

خامساً : الحرص على إثراء التربية ، والثقافة بالفنون ، والآداب التى تضع أساساً صلباً ، ومتيناً لحركة تربوية ثقافية موصولة من الإنتاجية ، والفاعلية ، والإبداعية.

سادساً : توجيه السياسات والاستراتيجيات التربوية والثقافية والإعلامية إلى حسن استثمار ذلك الفيض الحضارى الهائل من المعلوماتية، وحسن إدارة المعرفة على نحو يرتقى بواقع مؤسساتنا العلمية ، والتعليمية ، والإنتاجية، وفى إدارة المجتمع ككل، بقدر ما يرتقى أيضًا بواقعنا النفسى ، والعقلى ، والوجدانى؛ فتكون المعرفة قوة وطاقة تحسمه توظيفها فى سياق عملية الحضارة ، وخصوصيتها فى مجتمعنا.

سابعًا : التأكيد على التربية المثقفة ، والثقافة المربية، يتأتى من خلالهما دور التربية فى تعليم الثقافة ، ودور الثقافة فى تقديم قيم تربوية ، ونماذج سلوكية ، وفكر مبدع ، ووجدان أصيل. ويتنامى دور التربية فى تعليم الثقافة فى الحفاظ على الثقافة الوطنية ، وتنميتها بما تمثله من أصالة ، وانتماء ، واعتزاز بالذات، وذلك من خلال استراتيجية تربوية تحسن توظيف خصوصيتنا الثقافية فى تفاعل واع مع المتغيرات العالمية، وفى حفاظ على المنجزات الثقافية، واستثمار لذخائر الماضى قوة للحاضر وثقة فى المستقبل .

ثامنًا : تفعيل دور الأسرة من خلال عملية تنشئة اجتماعية ، وتربوية ، وثقافية حتى تكون بحق البوتقة التى من خلالها يتم تحضين الإبداع ، وتحقيقه فكرًا ، وإنتاجية وأداء .

تاسعًا : صيانة فطرة الإنسان فى إبداعها الذى هو أعدل الأشياء ، قسمة بين البشر إيمانًا بأن الإنسان إمكانية ، مفتوحة تنطوى على كل قابليات النمو ، والتقدم الموصولين؛ ولكن هذا مشروط بتعليم متميز بحق، يتجاوز حدود التلقين ، والحفظ والاستظهار وهو أضعف الإيمان، إلى الفهم والتحليل ومهارات حل المشكلات، ومهارات التعلم الذاتى الاستقلالى، وتنامى هذه الإمكانات فى سياق بيئة ثقافية، ثرية ومثرية، تقدر الإبداع وتثيبه.

عاشرًا : التأكيد على التفاعل الخلاق بين المتخصصين فى العلوم التربوية ، والثقافية ، والإعلامية فى كل يحدد ما يمكن أن تكون عليه ، خطط التنمية التربوية والثقافية فى عالم اليوم ، والغد.

وزارة الثقافة
المجلس الأعلى للثقافة
شعبة العلوم الاجتماعية
لجنة التربية

دليل عمل

لجنة التربيـــة

مقرر اللجنة

أ . د . عبد السلام عبد الغفار

أعضاء اللجنة

أ . د . حامد زهران

أ . د . رشدى طعيمة

أ . د . سعيد إسماعيل

أ . د . سيد صبحى

أ . د . شبل بدران

أ . د . طلعت منصور

أ . د . عبد الفتاح جلال

أ . د . فارعة حسن

أ . د . فتحى يونس

أ . د . كوثر كوجك

أ . د . محمد إبراهيم عيد

أ . د . محمد الطيب

أ . د . محمد المفتى

أ . د . محمد يوسف حسن

أ . د . محمود الناقة

أ . د . محمود عكاشة

أ . د . مصطفى رجب

أ . د . مصطفى عبد السميع

أ . د . نادية جمال الدين

أ . د . يسرى عفيفى

أهداف اللجنة :

تتركز أهداف لجنة التربية فى الآتى :

١ – العمل على نشر الثقافة التربوية، وتنمية الاهتمام بها، بما يسهم فى أفضل تكوين للمواطن، واكسابه مهارات الحياة .

٢ – تأصيل الأخلاقيات العلمية والمهنية، ونشرها بين المتخصصين فى مجالات التربية.

٣ – تحقيق التواصل الكفء، والتبادل الفعال للمعرفة والثقافة التربوية محليًا وعربيًا وعالميًا .

٤ – تشجيع الأفراد والهيئات على نشر ذخائر التراث التربوى العربى .

٥ – تشجيع الاستفادة بالجهود الفكرية ، والبحثية الأجنبية ، بالسعى إلى ترجمتها إلى اللغة العربية.

٦ – التنسيق بين الدول العربية ، فيما يختص بالمصطلحات التربوية.

٧ – إيجاد قنوات الاتصال، وتوفير مجالات التعاون وتبادل الرأى والخبرة بين العاملين فى المجالات التربوية، وبين نظرائهم فى المجالات الأخرى: الفنية، والأدبية، والاجتماعية، وغيرها ، محليًا ، وعربيًا ، وعالميًا.

٨ – تقديم المشورة والخبرة التربوية إلى الهيئات والمؤسسات المختلفة بالمجتمع، بما يخدم أهداف هذه الهيئات والمؤسسات ويعينها على أداء رسالتها، لتنمية المجتمع.

٩– تأكيد قيم الإنجاز العلمى والاجتماعى، وتعميق مشاعر الولاء الوطنى فى نفوس الشباب، من خلال صور التكريم للنماذج القدوة من الرواد والمبدعين فى المجالات التربوية، والتعريف بجهودهم ، وإسهاماتهم، ونشر أعمالهم .

١٠ – توفير المؤشرات الموجهة لاهتمام الباحثين نحو إجراء الدراسات العلمية للمشكلات ، والقضايا المجتمعية الملحة، والوثيقة الصلة بالمجالات التربوية.

١١ - حفز الباحثين إلى الإنتاج الإبداعى فى المجالات التربوية، بما يسد أوجه النقص فى المصادر ، والمعلومات الضرورية فى هذه المجالات.

مهام اللجنة :

تشمل هذه المهام السبل المؤدية إلى تحقيق الأهداف السابقة، وأوجه النشاط المختلفة التى يمكن أن تنهض بها لجنة التربية ، لبلوغ الغايات المرجوة، ويدخل فى ذلك ما يأتى :

١ - عقد المؤتمرات والندوات العلمية ، والثقافية، المحلية ، والعربية ، والعالمية فى الموضوعات التربوية، ودعوة المتخصصين للمشاركة فيها.

٢ - الاشتراك فى المؤتمرات ، والندوات العلمية ، والثقافية، التى تعقد داخل الدولة أو خارجها، والمتصلة بالمجالات التربوية.

٣ - عقد المسابقات، ومنح الجوائز، وتيسير فرص التفرغ العلمى ، والثقافى للعاملين فى مجالات التربية، والمجالات الثقافية ، والاجتماعية ، والإعلامية المتصلة بها.

٤ - التعريف بأوجه النشاط العلمى ، والثقافى فى المجالات التربوية ، والإعلام عن المؤتمرات ، والندوات العلمية ، والثقافية بين جمهور المتخصصين والمعنيين.

٥ - التعاون مع الجهات المهنية ، بالنشر الببليوجرافى بوزارة الثقافة، لإصدار دورية نصف سنوية خاصة بالإنتاج العلمى ، والثقافى ، المصرى ، والعربى ، فى المجالات التربوية.

٦ - تشجيع إصدار المعاجم ، والقواميس ، والموسوعات، بما يساعد على توحيد المصطلحات التربوية فى الوطن العربى ، ويحقق الوفاء باحتياجات المتخصصين ، والمعنيين فى هذه المجالات.

٧ - تشجيع نشاط الترجمة العلمية ، للمراجع الهامة المتصلة ، بالمجالات التربوية.

٨ - تشجيع الباحثين والمعنيين فى المجالات التربوية على تحقيق ونشر ذخائر التراث المتصلة ، بهذه المجالات وعلى عقد الدراسات التقييمية لها.

٩ – السعى لإصدار دورية ثقافية، تساعد على نشر الثقافة التربوية المبسطة، بين مختلف الأوساط ، محلياً وعربياً.

١٠ – التنسيق مع الجهات المعنية فى المجتمع، لإيجاد قاعدة مركزية عربية للمعلومات البيليوجرافية بأنواعها، فى المجالات التربوية، وتيسير سبل الإفادة منها ، أمام الباحثين ، والمعنيين فى هذه المجالات.

١١– التعاون مع الهيئات ، والمؤسسات العلمية التربوية ، والنفسية والاجتماعية فى المجتمع، لإرساء أخلاقيات ، وتقاليد ، وقواعد ونظم العمل العلمى، والممارسات المهنية فى هذه المجالات.

١٢ – التخطيط والتوجيه لإجراء الدراسات التقييمية المختلفة، من خلال تحليل المضمون المقدم بالبرامج الإعلامية، والكتب المدرسية، ومصادر تثقيف وتربية النشء والشباب، وتقدير مدى نجاح هذه المصادر فى ترسيخ القيم ، والاتجاهات السليمة فى المجتمع.

١٣ – التعاون مع مراكز خدمة المجتمع بالجامعات، وغيرها من المؤسسات المعنية، فى التخطيط لبرامج التثقيف التربوى الموجهة للآباء والمربيين، والمعنيين بتثقيف الشباب فى المجتمع.

١٤ – الإسهام مع الهيئات والمؤسسات المعنية بالتربية والتعليم، والثقافة الجماهيرية، وثقافة الطفل، والمؤسسات الشبابية، ومراكز خدمة المجتمع بالجامعات فى التخطيط لبرامج التثقيف الجماهيرى الموجهة، والتى تستهدف غرس وتأصيل السلوكيات الإيجابية لدى النشء والشباب.

١٥ – التعاون مع الجهات المعنية بوزارات الثقافة، والتربية والتعليم، والإعلام، والشباب، لتأصيل النظم والأساليب الإبداعية فى الفكر والسلوك، من خلال البرامج الثقافية والتربية والإعلامية.

١٦ – الاشتراك مع المؤسسات الاجتماعية المختلفة فيما تعده ، أو تخطط له من حملات التوعية المختلفة، فى مواجهة المشكلات القومية، أو مكافحة الأمراض الاجتماعية بأنواعها.

١٧ - السعى لدى الجهات الإعلامية ، لزيادة المساحة المخصصة للثقافة التربوية المبسطة، والتعاون معها لتيسير وصول هذه الثقافة إلى القاعدة العريضة، وتقديم المشورة لها حول ما يقدم بوسائلها من معلومات متصلة بالمجالات التربوية .

١٨ - تنظيم عقد المناسبات والمواسم الثقافية ، وحلقات المناقشة وغيرها ، بهدف استعراض وتقويم ونقد صور الإنتاج العلمى والثقافى، والأعمال التى تصدر فى المجالات التربوية، بما يدعم الاتجاهات الإيجابية والإبداعية فى هذه الإنجازات، ويؤكد التواصل المعرفى بين المتخصصين والمعنيين.

١٩ - إعداد المؤشرات الموجهة ، لنوعية الدراسات الضرورية ، لمواجهة الأزمات والمشكلات الاجتماعية الضاغطة، ودعوة الجهات العلمية ، والباحثين للاهتمام بها .

٢٠ - تشجيع ونشر الثقافة السياحية ، والتربية السياحية على المستوى المحلى والعربى والعالمى، وخاصة وأن مصر تملك أكبر الكنوز السياحية فى العالم .

والله الموفق ،،،،،

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٧٣٠٢ / ٢٠٠٢

التربية من أهم الوسائط الثقافية التى تحقق غايتها القصوى، فهى المعبرة عن ثقافة المجتمع وتطلعاته المستقبلية، ولهذا كانت التربية وما زالت ذات طبيعة مزدوجة تكمن فى اكتساب المعرفة والحفاظ على القيم المتوارثة، وتمكين الأجيال الناشئة من التغلب على معوقات التطور لتقديم الكوادر القادرة على مواجهة متطلبات التنمية بكافة مجالاتها، وعلى دفع التطور والتقدم فى المرحلة القادمة وذلك من خلال ترسيخ قيم التسامح فى الفكر، والاعتقاد، وتأصيل قيم الانتماء للأمة بين الشباب، وتعميق الروح الديموقراطية والحس الجمالى.

الغلاف/

